دلالات الوحي في القرآن الكريم
وأصول الشبه المثارة حوله

د. الزهراء بنت محمد بن عبدالعزيز التويجري

د. الزهراء بنت محمد بن عبدالعزيز التويجري

- أستاذ مساعد بقسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- حصلت على درجة الماجستير في القرآن وعلومه من كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحتها: (تفسير ابن زيد - جمعاً ودراسة وتحقيقاً).
- حصلت على درجة الدكتوراه في القرآن وعلومه من كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحتها:(أنوار الحقائق الربانية في تفسير اللطائف القرآنية للأصفهاني من أول سورة الروم إلى آخر سورة (ص) دراسة وتحقيقاً).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين القائل في محكم التنزيل: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾[1]
والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين الذي أوحى الله إليه آيات التنزيل فقال: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾[2] وعلى أصحابه الطيبين الطاهرين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ..أما بعد:

فإن علم الوحي أحد العلوم المهمة في علوم القرآن الكريم ذلكم أن علمه وسيلة إلى معرفة مصدر القرآن الكريم وكيفية وصوله إلينا، وقد حاول المستشرقون وأصحاب الشبه الطعن في القرآن الكريم بإثارة الشبه من خلال مصدريته، وبعد اطلاعي على ما كتب في موضوع الوحي والدراسات حوله رأيت أن الحاجة لا زالت قائمة إلى دراسته دراسة متأنية من خلال القرآن الكريم نفسه وتوضيح معتقد أهل السنة والجماعة فيه فاخترت له العنوان التالي:

((دلالات الوحي في القرآن الكريم وأصول الشبه المثارة حوله))

(١) سورة الشورى الآية (٥١).
(٢) سورة الشعراء الآيات (١٩٢ – ١٩٤) .

أهمية الموضوع:

يقصد بالوحي إعلام الله تعالى الكلام أو المعنى في نفس الرسول بخفاء وبسرعة بملك أو بدون ملك، ويدل على ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾[(١)] .

والكتابة فيه من خلال القرآن الكريم تُبَيِّن لنا حقيقة الوحي ودلالاته الواردة في القرآن الكريم، ومصدرية القرآن الكريم والمطاعن التي أثارها المشركون بطريق مباشر أو غير مباشر، والتصدي لذلك يأتي امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[(٢)]، وقوله تعالى: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[(٣)] .

وبما نوه الله تعالى به نحو حفظه في مراحله الثلاث:

قبل نزوله: بقوله: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾[(٤)].

وقوله: ﴿ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾[(٥)] .

---

(١) سورة الشورى الآية (٥١).

(٢) سورة الحج الآية (٩).

(٣) سورة فصلت الآية (٤٢).

(٤) سورة الواقعة الآيات (٧٧ – ٨٠) .

(٥) سورة عبس الآيات (١٣ – ١٦) .

وأثناء نزوله: بقوله: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ ﴾ [(١)] وقوله: ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ﴾ [(٢)].

وبعد نزوله: بقوله: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾ ﴾ [(٣)] .

الدراسات السابقة:

لقد تناول الباحثون والمؤلفون في علوم القرآن الكريم موضوع الوحي بالبحث والتأليف إما بالكتابة عنه ضمن موضوعات علوم القرآن الكريم التي كتبوا عنها، أو بإفراده بالكتابة على وجه الاستقلال، فالأول جاءت الكتابة به مختصرة وغير وافية بالمقصود، والأخير كتب فيه عدة كتب ومن ذلك:

١- الوحي المحمدي، لمحمد رشيد رضا .

٢- وحي الله، حقائق وخصائص في الكتاب والسنة، ونقض مزاعم المستشرقين، للدكتور / حسن ضياء الدين عتر .

٣- الوحي والقرآن الكريم، للدكتور / محمد حسين الذهبي .

وقد ركزت هذه الكتابات وغيرها على معنى الوحي العام والشبه التي أثارها المستشرقون حوله، بينما البحث الذي أكتب فيه ركزت في تناوله على القرآن نفسه ومعتقد أهل السنة والجماعة فيه .

---

(١) سورة الشعراء الآيتان (٢١٠، ٢١١) .

(٢) سورة الإسراء الآية (١٠٥).

(٣) سورة القيامة الآيات (١٦ – ١٩) .

الهدف من البحث:

١- الحديث عن الوحي وأنواعه ودلالاته في القرآن الكريم.

٢- بيان هيئات الوحي وآثاره على الرسول صلى الله عليه وسلم.

٣- خدمة كتاب الله عز وجل بدراسة مصدر القرآن الكريم، وأصول الشبه المثارة حوله والرد عليها.

٤- إثراء المكتبة القرآنية بالدراسات المتعلقة بالقرآن الكريم.

خطة البحث:

وتشتمل على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره والدراسات حوله والهدف منه وخطته.

الفصل الأول: معنى الوحي واطلاقاته في القرآن الكريم وفيه مبحثان:

المبحث الأول: معنى الوحي والفرق بينه وبين الإلهام والكشف، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الوحي في اللغة.

المطلب الثاني: الوحي في الشرع.

المطلب الثالث: العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي.

المطلب الرابع: الفرق بين الوحي والإلهام والكشف.

المبحث الثاني: اطلاقات الوحي في القرآن الكريم، وفيه سبعة أوجه:

الوجه الأول: الإلهام الفطري للإنسان.

المطلب الثاني: تمثل جبريل في صورته الملكية .

المطلب الثالث: تمثل جبريل في صورة بشر.

المطلب الرابع: النفث في روع النبي ﷺ.

المبحث الرابع: مظاهر الوحي على الرسول ﷺ، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: المشقة في التلقي.

المطلب الثاني: سماع دوي كدوي النحل.

المطلب الثالث: ثقل جسم الرسول ﷺ.

المطلب الرابع: بروك الناقة إذا نزل عليه الوحي وهو عليها.

المبحث الخامس: حال الصحابة عند نزول الوحي.

المبحث السادس: قطعية الوحي ودلالاتها.

الفصل الرابع: أصول الشبه حول الوحي وأثرها على المعاصرين، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أصول الشبه حول الوحي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أنه أساطير الأولين.

المطلب الثاني: أنه مفترى من عند رسول الله.

المطلب الثالث: أنه قول شاعر، أو كاهن، أو مجنون،أو ساحر.

المبحث الثاني: أثر أصول الشبه على المعاصرين .

المبحث الثالث: موقف القرآن الكريم من هذه الشبهات .

الخاتمة: وفيها نتائج البحث.

منهج البحث:

طبيعة البحث دعت إلى أن أسير فيه – حسب المنهج الاستقرائي والاستنباطي .

حيث استقريء الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتعلقة بالموضوع، واستنبط منهما ما يتعلق بدراستي، كما أستعين بكتب التفسير وعلوم القرآن وحديث العلماء والباحثين عموماً عن الوحي واستخلص منها ما يفيد ويؤصل دراستي .

وعن المنهج الإجرائي فيه فألخصه فيما يلي:

١- عزو الآيات القرآنية إلى سورها.

٢- تخريج الأحاديث النبوية والحكم عليها قدر الإمكان .

٣- توثيق النصوص والمسائل العلمية.

٤- توضيح الألفاظ الغريبة.

٥- التعريف بالأماكن والبلدان التي تحتاج إلى تعريف .

٦- وضع فهارس في نهاية البحث.

والله تعالى أسأله التوفيق والسداد، وأن يجعل عملي نافعاً ومفيداً، وما كان منه من صواب فمن الله وفضله عليّ، وما كان منه غير ذلك فأستغفر الله وأتوب إليه من كل خطأ وزلل .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،،،،،،

الفصل الأول

معنى الوحي واطلاقاته في القرآن الكريم، وفيه مبحثان: -

المبحث الأول: معنى الوحي والفرق بينه وبين الإلهام والكشف وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الوحي في اللغة .

المطلب الثاني: الوحي في الشرع .

المطلب الثالث: العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي .

المطلب الرابع: الفرق بين الوحي والإلهام والكشف .

المبحث الثاني: اطلاقات الوحي في القرآن الكريم، وفيه سبعة أوجه:

الوجه الأول: الإلهام الفطري للإنسان .

الوجه الثاني: الإلهام الغريزي للحيوان .

الوجه الثالث: الإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيحاء .

الوجه الرابع: الإعلام بالوسوسة .

الوجه الخامس: إلقاء الله الأمر إلى الملائكة .

الوجه السادس: إلقاء الله الوحي إلى الأنبياء .

الوجه السابع: الموحى به .

الفصل الأول

معنى الوحي واطلاقاته في القرآن الكريم

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: معنى الوحي والفرق بينه وبين الإلهام والكشف

المبحث الثاني اطلاقات الوحي في القرآن الكريم

المبحث الأول:

معنى الوحي والفرق بينه وبين الإلهام والكشف

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الوحي في اللغة.

المطلب الثاني: الوحي في الشرع.

المطلب الثالث: العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي.

المطلب الرابع: الفرق بين الوحي والإلهام والكشف.

المطلب الأول: الـوحـي في اللـغـة.

يطلق الوحي في اللغة على عدة معان هي:

١- الكتابة: من وحى يحي وحياً إذا كتب. فيقال: وحى في الحَجَر إذا كتب فيه وحياً. (١)

٢- الكلام الخفي: من وحى إليه بالكلام يحي به وحياً، وأوحى إليه بأن كلمه بكلام يخفيه عن غيره . (٢)

قال ابن فارس: ((الواو والحاء والحرف المعتل: أصل يدل على إلقاء علم في خفاء إلى غيرك)) . (٣)

وقال الزمخشري: أوحى إليه وأومى إليه بمعنىً، ووحيت إليه وأوحيت إذا كلمته بما تخفيه عن غيره. وأوحى الله إلى أنبيائه، ﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ ﴾ . (٤)

٣- الإشارة: من وحيت إلى فلان أحي إليه وحياً إذا أشرت إليه . (٥)

٤- الصوت: يقال: سمعت وحاه، أي: صوته. (٦) والوحاة: صوت الرعد. قال النضر: سمعت وَحاةَ الرعد وهو صوته الممدود الخفي . (٧)

---

(١) انظر تهذيب اللغة مادة: ((وحى)) ٥/ ٢٩٧ .

(٢) انظر لسان العرب مادة ((وحى)) ١٥/ ٣٧٩، ٣٨٠ .

(٣) معجم مقاييس اللغة مادة ((وحى)) ٦/ ٩٣ .

(٤) سورة النحل الآية (٦٨)، وانظر: أساس البلاغة للزمخشري ٢/ ٣٢٤ .

(٥) تهذيب اللغة مادة ((وحى)) ٥/ ٢٩٧ .

(٦) قاله ابن الأعرابي، انظر تهذيب اللغة مادة ((وحى)) ٥/ ٢٩٧ .

(٧) انظر لسان العرب مادة ((وحى)) ١٥/ ٣٨١، وتاج العروس مادة ((وحى)) ٤٠/ ١٧٠ .

وقد أشار إلى هذه المعاني الأربعة الراغب الأصفهاني بقوله: ((أصل الوحي الإشارة السريعة، ولِتَضَمُّنِ السُّرْعَة قيل: أمرٌ وَحْيٌ وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب، وبإشارة ببعض الجوارح، وبالكتابة)) .[١]

ومنه قوله: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾[٢] أي أشار إليهم ولم يتكلم .

٥- الرسالة: قال ابن فارس: ((والوحي الكتاب والرسالة، وكل ما ألقيته إلى غيرك حتى عِلْمه فهو وحي كيف كان)).[٣]

٦- البكاء: جاء في تهذيب اللغة: ((والإيحاء: البكاء، يقال: فلان يوحي أباه: أي يبكيه)).[٤]

٧- السرعة: يقال: توح في شأنك السرعة، أي أسرع .[٥]

٨- الإلهام: وحى إليه: ألهمه، والوحي أيضاً الرجل إذا كلم عبده بلا رسول .[٦]

وهذه الإطلاقات وإن اختلفت ألفاظها، وتعددت معانيها إلا أنها

---

(١) المفردات ص ٥١٥ .

(٢) سورة مريم الآية (١١).

(٣) معجم مقاييس اللغة مادة ((وحى)) ٦/ ٩٣ .

(٤) تهذيب اللغة مادة ((وحى)) ٥/ ٢٩٨ .

(٥) تهذيب اللغة مادة ((وحى)) ٥/ ٢٩٨ .

(٦) لسان العرب مادة (١٥/ ٣٨٠) .

تعود في الجملة إلى أن معنى الوحي في اللغة هو الإعلام في خفاء ويغلب عليه السرعة، كما نبه إلى ذلك الراغب في مفرداته، وابن الأثير في النهاية.[١]

(١) انظر النهاية لابن الأثير ٥/ ١٦٣ .

المطلب الثاني: الوحي في الشرع

اختلفت عبارات العلماء في تعريف الوحي شرعاً ومَرَدُّ ذلك يعود إلى مفهوم الوحي واطلاقاته لدى كل منهم، فالوحي إذا أطلق إما أن يراد به المعنى المصدري أي: الإيحاء، وإما المعنى الحاصل بالمصدر، وإما اسم المفعول أي: الموحى به . [١]

ومن هنا جاءت عبارات العلماء مختلفة بحسب منحى كل منهم ومراده في إطلاقه . فإذا أطلق وأريد به المعنى المصدري يكون تعريفه: إعلام الله لنبي من أنبيائه بما يريد أن يبلغه إليهم من شرع أو كتاب بواسطة أو بغير واسطة .

وقد أشار إلى نحو هذا الطبري عند تفسيره قول الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ [٢] حيث قال في معناها: ((إنا أرسلنا إليك يا محمد بالنبوة كما أرسلنا إلى نوح وإلى سائر الأنبياء)). [٣] ويقصد بذلك الإرسال الإلهي. وكذا الفخر الرازي عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ . [٤] حيث قال: ((وأما الإيحاء فقد ورد الكتاب به على معانٍ مختلفة يجمعها تعريف: الموحى إليه بأمر خفي من

(١) انظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم ٨٤ .

(٢) سورة النساء الآية (١٦٣) .

(٣) جامع البيان ٦/ ٢٧ .

(٤) سورة آل عمران الآية (٤٤).

إشارة أو كتابة أو غيرهما... ثم قال: فلما كان الله تعالى سبحانه ألقى هذه الأشياء -يقصد أنباء الغيب- إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام بحيث يخفي ذلك على غيره سماه وحياً)).[١]

كما أشار إلى نحو منه ابن حجر العسقلاني بقوله: ((وشرعاً: الإعلام بالشرع)).[٢]

والقسطلاني بقوله: ((إعلام الله تعالى أنبياءه الشيء إما بكتاب أو برسالة ملك أو منام أو إلهام)).[٣]

وإذا أطلق وأريد به المعنى الحاصل بالمصدر يكون تعريفه: بأنه عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله، بواسطة أو بغير واسطة.

وقد عرفه بهذا محمد عبده في كتابة "رسالة التوحيد"[٤] وقريب منه ما ذكره الطوسي في كتابه "التبيان في تفسير القرآن" حيث قال: ((الإيحاء: إلقاء المعنى في النفس على وجه يخفى، وهو ما يجيء به الملك إلى النبي صلى الله عليه وسلم من الله تعالى فيلقيه إليه ويخصه به من غير أن يرى ذلك غيره من الخلق))[٥]، وقد سار على هذا التعريف الزرقاني[٦]

(١) التفسير الكبير ٨/ ٥٠ .

(٢) فتح الباري ١/ ٩ .

(٣) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ١/ ٦٨ .

(٤) رسالة التوحيد ٥٨ .

(٥) التبيان في تفسير القرآن ٤/ ١٤٢ .

(٦) انظر: مناهل العرفان ٥٦ .

وعبد الله شحاته[١] وغيرهما، وجمع بين المعنى المصدري والمعنى الحاصل به د / حسن ضياء الدين عتر حيث قال: ((إلقاء الله الكلام أو المعنى في نفس الرسول بخفاء وسرعة، بملك أو بدون ملك)) .[٢]

وإذا أطلق وأريد به اسم المفعول أي: الموحى به يكون تعريفه: ما أنزله الله على أنبيائه، وعرفهم به من أنباء الغيب والشرائع والأحكام، ومنهم من أعطاه كتاباً ومنهم من لم يعطه.

وقد أشار إلى هذا الراغب في مفرداته حيث قال: ((الوحي الكلمة الإلهية تلقى إلى نبي من أنبيائه وأوليائه، يقال: وحى، وذلك حسبما دل عليه قوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ** ﴾.[٣] [٤]

وكذا ابن حجر حيث قال: ((قد يطلق ويراد به اسم المفعول أي: الموحى، وهو كلام الله المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم)).[٥] ومحمد حسين الذهبي حيث قال: ((هو كلام الله المنزل على نبي من أنبيائه))[٦]، ومحمد رشيد رضا حيث قال: ((ما أنزله الله على أنبيائه وعرفهم به من أنباء الغيب

---

(١) انظر: علوم القرآن والتفسير ١٤، ١٥ .

(٢) وحي الله ٩٠ .

(٣) سورة الشورى الآية (٥١).

(٤) مفردات غريب القرآن ٦٢، ٦٣ .

(٥) فتح الباري ١/ ٩ .

(٦) الوحي والقرآن الكريم ٧ .

والشرائع والحكم، ومنهم من أعطاه كتاباً أي: تشريعاً يكتب، ومنهم من لم يعطه)) [1]

ونخلص من ذلك إلى أن الوحي في الشرع له عدة تعريفات تنطلق من أصل مادة ((الوحي)) فهو إما من الإيحاء وهو إعلام الله لنبي من أنبيائه بحكم شرعي ونحوه، أو ما يحصل من هذا الإيحاء من حالات يجدها الموحى إليه في نفسه، أو هو ذات ما أنزله الله تعالى على أنبيائه وعرفهم به من أنباء الغيب ونحوها .

(١) الوحي المحمدي ٣٨ .

المطلب الثالث: العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي

من خلال تعريف الوحي في اللغة والشرع نلحظ الصلة الوثيقة بين المعنيين حيث يجمع بينهما: الإعلام في خفاء وسرعة، كما أن بينهما خصوص وعموم، فالمعنى الشرعي أخص من المعنى اللغوي من حيث مصدره فهو من عند الله سبحانه وتعالى، ومن حيث الموحى إليه فهو نبي من أنبياء الله تعالى، ومن حيث صفته فهو التكليم الإلهي للأنبياء والرسل دون غيرهم .

وقد أشار إلى نحو هذا محمد حسين الذهبي بقوله: ((الوحي بالمعنى الشرعي لا يخرج عن نطاق المعنى اللغوي، والفرق بينهما هو الفرق بين العام والخاص، فالوحي بالمعنى اللغوي عام يشمل كل إعلام في خفاء، والوحي بالمعنى الشرعي خاص لا يتناول إلا ما كان من الله لنبي من أنبيائه)) . [١]

قلت: بل إن بعض المعرفين للوحي اعتمد المعنى اللغوي عند تعريفه للمعنى الشرعي كالفخر الرازي[٢] والطوسي[٣] وغيرهما، مما يدل على الصلة الوثيقة بينهما .

(١) الوحي والقرآن الكريم ٨ .

(٢) التفسير الكبير ٨/ ٥٠ .

(٣) التبيان في تفسير القرآن ٤/ ١٤٢ .

المطلب الرابع: الفرق بين الوحي والإلهام والكشف

يكثر ورود الألفاظ الثلاثة ((الوحي والإلهام والكشف)) بين العلماء عند الحديث عن الوحي لما بينهما من اشتراك في الظاهر في معانيها، وعند التحقيق نجد أنها تتفق من جانب وتختلف من جوانب أخر، ولضبط ذلك لابد من معرفة المراد من كل لفظة فنقول:

الوحي: وأعني به المعنى المصدري من الإيحاء هو: إعلام الله لنبي من أنبيائه بحكم شرعي ونحوه سواء بواسطة أم بغير واسطة على وجه الخفاء والسرعة وأمر بتبليغه لمن بعث إليهم .

أما الإلهام: فهو هيئة من هيئات الوحي ونوع من أنواعه أشبه بالخاطر والتنبيه والقذف في القلب أو في المنام، والنفث في الروع.(١)

قال ابن مسعود: ((إن روح القدس نفث في رُوعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها، ألا فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب)). (٢)

ويجد فيه المُلْهَم اليقين بأنه من عند الله دون أن يكون بينه وبين الله

(١) انظر أمالي المرتضي الجبائي ٢٠٥

(٢) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب ص ١٨٥ حديث رقم ١١٥١- ١١٥٢. والبغوي في شرح السنة ١٤/ ٣٠٤. وابن عبد البر في التمهيد ١/ ٢٨٤. والخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح ٣/ ٢٦٤ حديث رقم ٥٣٠٠ . قال ابن حجر رحمه الله: ((وحديث إن روح القدس نفث في روعي أخرجه ابن أبي الدنيا في القناعة، وصححه الحاكم من طريق ابن مسعود)) فتح الباري ١/ ٢٧ وصححه الألباني في تخريجه لأحاديث مشكلة الفقر ١٩.

واسطة، وهو ليس خاصاً بالأنبياء حيث نجد في القرآن الكريم أن الله أوحى إلى أم موسى والحواريين وغيرهم .

ولهذا نجد أن بعض المفسرين فسروا الوحي في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا ﴾[١] بالإلهام، قال مجاهد في تفسيره لهذه الآية: ((نفث ينفث في قلبه فيكون إلهاماً)).[٢]

وقال السدي أيضاً: ((إلا إلهاماً بخاطر أو في منام أو نحوه من معنى الكلام في خفاء)).[٣]

وقال الفخر الرازي: . ((إلا وحياً معناه: الإلهام والقذف في القلب أو المنام كما أوحى الله إلى أم موسى وإبراهيم عليه السلام))[٤]

وقال الزمخشري: - (إلا وحياً) وهو الإلهام والقذف بالقلب .[٥]

وجاء الإلهام في القرآن الكريم معبراً عنه بالوحي: كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ ﴾[٦]، وقوله: ﴿ وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ ﴾[٧]، أي: ألهمها، قال ابن قتيبة: ((والوحي: إلهام))[٨] .

---

(١) سورة الشورى الآية (٥١) .

(٢) النكت والعيون ٥/ ٢١٢، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٥٣ .

(٣) انظر التبيان للطوسي ٩/ ١٧٧ .

(٤) التفسير الكبير٢٧/ ٤٧٥ .

(٥) الكشاف ٣/ ٤٧٥ .

(٦) سورة النحل الآية (٦٨) .

(٧) سورة المائدة الآية (١١١) .

(٨) تأويل مشكل القرآن ٤٨٩ .

أما الكشف: فيكثر دوران هذه اللفظة عند الصوفية خاصة، ويعرفونه بأنه: ما يلقى في الروع بطريق الفيض . وتحصل المكاشفة للأولياء المجاهدين لأنفسهم عن طريق التقوى والمراقبة، ولهذا يقول أبو محمد الحريري – أحد أئمة الصوفية – ((من لم يعمل بينه وبين الله بالتقوى والمراقبة لم يصل إلى الكشف)) [1] وقال أبو حامد الغزالي ((من الكشف ما يحصل في القلب بالمواظبة من غير تعلم)). [2]

وهو عندهم أنواع فمنه ما يكون بمكاشفة العيون بالأبصار ومكاشفة القلوب بالاتصال، ومنه ما يكون بكشف الحجب عن طريق الاستنارة وإدراك المعاني خاصة، ومنه ما يكون بالتمثيل والخيال . [3]

وقد عَدَّ الصوفية المكاشفة منفذاً للاطلاع على الغيب إذ تطلعهم على اسم الله الأعظم والمعراج الروحي.

ونخلص من هذا العرض إلى أنه يوجد فروق جوهرية بين هذه الألفاظ الثلاثة وإن كان الوحي والإلهام أكثر قرباً من بعض ونقول في الفرق بينها:

أولاً: إن الوحي مصدره من الله سبحانه وتعالى ويتلقاه نبي من أنبيائه، أما الإلهام: فهو هيئة من هيئات الوحي يكون للأنبياء وغيرهم وفي اليقظة والمنام، وهو ليس كلاماً على سبيل الإفصاح وإنما هو خاطر وتنبيه من معنى الكلام في خفاء .

(١) اللمع في التصوف ٣٤٦.

(٢) إحياء علوم الدين مجلد ٣، ٨/ ٤١ .

(٣) الوحي عند الصوفية (مقال في مجلة بين النهرين) العدد ٢٩ صـ ٢١٢ .

أما الكشف: فهو التخمين وعمل الذهن غير الشعوري، ويعد عند الصوفية من العلم الباطن .

ثانياً: إن الوحي يوقع في القلب علماً يقيناً لا يقبل التغيير والتبديل .

أما الكشف والإلهام: فهما أمران يقعان في النفس، وليس يقيناً بل يكثر فيهما الخطأ .

ثالثاً: إن الوحي يجب الأخذ به قطعاً، أما الإلهام والكشف: فهما وإن تكرر صدقهما فإنه لا يؤخذ بهما إلا بعد عرضهما على أدلة الشرع[١] .

(١) ينظر علوم القرآن لنور الدين عتر حاشية رقم (٣) ٢١، ٢٢ .

المبحث الثاني

اطلاقات الوحي في القرآن الكريم

وفيه سبعة أوجه:

الوجه الأول: الإلهام الفطري للإنسان.

الوجه الثاني: الإلهام الغريزي للحيوان.

الوجه الثالث: الإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيحاء.

الوجه الرابع: الإعلام بالوسوسة.

الوجه الخامس: إلقاء الله الأمر إلى الملائكة.

الوجه السادس: إلقاء الله الوحي إلى الأنبياء.

الوجه السابع: الموحى به.

جاء إطلاق الوحي في القرآن الكريم على سبعة أوجه:

الوجه الأول: الإلهام الفطري للإنسان:

وهو ما يلقيه الله سبحانه وتعالى في روع الإنسان السليم الفطرة، ومن ذلك ما أوحاه الله تعالى إلى أم موسى بقوله: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾[1] أي: ألهم الله أم موسى بعد ولادته أن ترضعه. قال قتادة: (وأوحينا إلى أم موسى) وحياً جاءها من الله فقذف في قلبها، وليس بوحي نبوة .[2]

وقال ابن كثير: ((فلما ضاقت ذرعاً به ألهمت في سرها وألقى في خُلْدِها، ونفث في رُوْعِها)). [3]

ومن ذلك أيضاً ما أوحاه الله إلى الحواريين بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾[4]، أي ألهمتهم وأوزعت قلوبهم الإيمان بي وبرسولي .

قال القرطبي: ((الوحي في هذه الآية بمعنى الإلهام، أي: ألهمتهم وقذفت في قلوبهم)) . [5]

---

(١) سورة القصص الآية (٧) .

(٢) جامع البيان ٢٠/ ٢٩ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٦/ ٢٢٢، أي: إن الله عز وجل ألهمها بأن تتصرف هذا التصرف، فهو وحي إلهام لا وحي نبوة.

(٤) سورة المائدة الآية (١١١) .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٣٦٣ .

وقال ابن كثير: ((المراد بهذا الوحي وحي إلهام . أي: ألهموا ذلك فامتثلوا ما ألهموا، قال الحسن البصري: ألهمهم الله عز وجل)) . [١]

الوجه الثاني: الإلهام الغريزي للحيوان:

وهو الإلهام بإلقاء المعنى في فهم الحيوان من طريق الغريزة[٢]،ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ﴾[٣]

فالله عز وجل أوحى إليها بأن ألهمها هذا العمل فأظهرت كمال الطاعة وحسن الائتمار لأمر ربها. [٤]

قال مجاهد: ((ألهمها إلهاماً))[٥].

وقال الرازي: ((والمراد من الإلهام أنه تعالى قرر في أنفسها هذه الأعمال العجيبة التي تعجز عنها العقلاء من البشر)) [٦]، وذكر القرطبي بأن الإلهام هو ما يخلقه الله في القلب ابتداء من غير سبب ظاهر، وهو من قوله تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾[٧]، ثم قال: ((ولا خلاف بين المتأولين أن الوحي هنا بمعنى الإلهام)). [٨]

(١) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٢٢٤ .

(٢) انظر علوم القرآن لعبد الله شحاته ١٤ .

(٣) سورة النحل الآية (٦٨) .

(٤) انظر الضوء المنير على التفسير لابن القيم ٤/ ٤٥ نقلاً عن كتابه مفتاح السعاده ٢٤٨ .

(٥) جامع البيان ١٤/ ١٣٩، وانظر كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر لابن العماد ٢٢٥ .

(٦) التفسير الكبير ٢٠/ ٧١ .

(٧) سورة الشمس الآية (٧، ٨) .

(٨) الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ١٣٣ .

وقال ابن كثير: ((المراد بالوحي هاهنا: الإلهام والهداية: والإرشاد إلى النحل أن تتخذ من الجبال بيوتاً تأوي إليها ومن الشجر ومما يعرشون)). [١]

الوجه الثالث: الإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيحاء:

وهي الإشارة التي تأتي من الإنسان بخفاء وسرعة، ومن ذلك ما جاء من وحي زكريا لقومه في قوله تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [٢]،أي: أشار إلى قومه بأن سبحوا الله في أول النهار وآخره، وكان كلام زكريا مع الناس بالإشارة ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾[٣].

قال ابن كثير في معنى الآية: «((فأوحى إليهم)) أي: أشار إشارة خفية سريعة، ونقل قول مجاهد وقتادة ووهب: فأوحى إليهم، أي: أشار»[٤].

الوجه الرابع: الإعلام بالوسوسة:

وهو وسوسة الشيطان وإسراره وتزيينه خواطر الشر للإنسان وورد هذا الوجه في قوله تعالى – حيث وصف ما يلقيه الشيطان بالوحي فقال سبحانه –:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ

(١) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٨١ .

(٢) سورة مريم الآية (١١) .

(٣) سورة آل عمران الآية (٤١) .

(٤) تفسير القرآن العظيم ٥/ ٢١٦ .

بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ ﴾[١]، أي: يوسوس بعضهم إلى بعض القول المزيَّن المزخرف، وأهل الباطل دائماً ما يصغون أسماعهم لما يوسوس به شياطين الإنس وشياطين الجن، ومآلهم الاقتناع بالقول المزين المغشوش. قال مالك ابن دينار: ((إن شياطين الإنس أشد علي من شياطين الجن، وذلك أني إذا تعوذت بالله من شيطان الجن ذهب عني وشيطان الإنس يجيئني فيجرني إلى المعاصي عيانا))[٢]، وقال الفخر الرازي في معنى الآية: ((فالمراد أن أولئك الشياطين يوسوس بعضهم بعضاً))[٣]، وقال الألوسي: ((يلقي ويوسوس شياطين الجن إلى شياطين الإنس أو بعض كل من الفريقين إلى الآخر)).[٤]

كما ورد أيضاً هذا الوجه في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴾[٥]، حيث رد الله تعالى في هذه الآية مجادلات المشركين في إباحة الميتات بأن شياطين الإنس والجن ليوسوسون إلى أوليائهم وأعوانهم ليجادلوا محمداً وأصحابه في أكل الميتة وما لم يذكر اسم الله عليه .

قال الواحدي في معنى الآية: ((أي يوسوس الشيطان لوليه فيلقي في قلبه الجدال بالباطل وهو ما ذكر من أن المشركين جادلوا المؤمنين في

---

(١) سورة الأنعام الآية (١١٢) .

(٢) الوسيط للواحدي ٢/ ٣١٣ .

(٣) التفسير الكبير ١٣/ ١٦٢ .

(٤) روح المعاني ٨/ ٥ .

(٥) سورة الأنعام الآية (١٢١) .

الميتة)). [١] وقال القرطبي: ((أي: يوسوسون فيلقون في قلوبهم الجدال بالباطل)). [٢]

الوجه الخامس: إلقاء الله الأمر إلى الملائكة:

وقد جاء في القرآن الكريم التعبير عما يلقيه الله إلى الملائكة بالوحي. حيث ذكر سبحانه إيحاءه إلى الملائكة في قوله: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾[٣]، أي: يلقي الله الأمر إلى الملائكة أنه مع المؤمنين بالعون والنصر. قال الرازي: ((فيه وجهان: الأول: أن يكون المراد أنه تعالى أوحى إلى الملائكة بأنه تعالى معهم، أي مع الملائكة حال ما أرسلهم ردءاً للمسلمين.

والثاني: أن يكون المراد أنه تعالى أوحى إلى الملائكة أني مع المؤمنين فانصروهم وثبتوهم. وهذا الثاني أولى، لأن المقصود من هذا الكلام إزالة التخويف والملائكة ما كانوا يخافون الكفار، وإنما الخائف هم المسلمون)). [٤]

(١) الوسيط للواحدي ٢/ ٣١٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٧٧.

(٣) سورة الأنفال الآية (١٢).

(٤) التفسير الكبير ١٥/ ١٣٩.

ومثل ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾[١]، والمقصود هنا أوحى الثاني أي: ما أوحاه الملك جبريل عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم هو ما تلقاه جبريل عليه السلام من الله عز وجل. قال الطبري: ((فأوحى جبريل إلى عبده محمد صلى الله عليه وسلم ما أوحى إليه ربه)). [٢]

الوجه السادس: إلقاء الله الوحي إلى الأنبياء:

وهو إلقاء الله الوحي إلى أنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم . وهذا الوجه يقوم على اتصال جبريل عليه السلام بالأنبياء عليهم السلام .

وقد ورد في القرآن أن الله أوحى لعبده محمداً صلى الله عليه وسلم كما أوحى لمن قبله من الأنبياء والرسل وذلك بقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾[٣]، أي: إن هؤلاء الأنبياء يشتركون بإلقاء الله الوحي عليهم .

قال ابن عطية: ((والوحي: إلقاء المعنى في خفاء وعرفه في الأنبياء بواسطة جبريل عليه السلام وذلك هو المراد بقوله ﴿كَمَآ أَوْحَيْنَآ ﴾أي:

---

(١) سورة النجم الآية (١٠) .

(٢) جامع البيان ٢٧/ ٤٧ .

(٣) سورة النساء الآية (١٦٣) .

بملك ينزل من عند الله)). [١]

الوجه السابع: الموحى به:

وهو ذات الوحي المنزل من الله عز وجل إلى أنبيائه وكان ينزل به جبريل عليه السلام على الأنبياء، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾[٢]، قال ابن عطية: ((والوحي إلقاء المعنى في خفاء، وعرفه في الأنبياء بواسطة جبريل عليه السلام، وذلك هو المراد بقوله: ﴿كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ﴾ أي: بملك ينزل من عند الله))[٣] .

وهذا الموحى به مصدره الله عز وجل، وليس لأحد من أنبيائه أن يبدله من تلقاء نفسه ومحض رأيه وخالص اجتهاده، يقول عز وجل: ﴿قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾[٤]، ويؤكد ذلك قوله عز وجل: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾[٥] وقوله عز وجل: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ﴾[٦] .

كما أن المبلَّغ به مأمور باتباعه كما قال عز وجل: ﴿ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٩٣ .

(٢) سورة النساء الآية (١٦٣) .

(٣) : المحرر الوجيز ٤/ ٢٩٣ .

(٤) : سورة يونس الآية (١٥) .

(٥) : سورة النجم الآية (٤) .

(٦) : سورة الأعراف الآية (٢٠٣) .

مِن كِتَابِ رَبِّكَ ﴾[1] وقال أيضا: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾[2] أي: كما أوحى الله إلى الأنبياء أوحى إلى محمد صلى الله عليه وسلم قرآنا عربياً لينذر الناس به .

(١) : سورة الكهف الآية (٢٧) .

(٢) : سورة الشورى الآية (٧) .

الفصل الثاني

أنواع الوحي

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: وحي الله إلى الملائكة .

المبحث الثاني: وحي الله إلى رسله .

المبحث الثالث: وحي الملك إلى الرسول .

المبحث الأول

وحي الله إلى الملائكة

وأعني به الوحي الذي يلقيه الله عز وجل إلى ملائكته وهو على نوعين:

النوع الأول: وحي أمرهم الله بإبلاغه إلى أنبيائه، كتبليغ كلام الله إلى الأنبياء أو أي أمر منه عز وجل عن طريقهم كما حصل لتثبيت النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه في غزوة بدر كما قال الله تعالى: ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾[1].

النوع الثاني: وحي خاص بهم بأن أمرهم الله بتنفيذه أو إعلام منه عز وجل لهم:

ويدخل في هذا الآيات التي جاءت بصيغة (القول) وتصريفاتها المضافة إلى الله سبحانه وموجهة إلى الملائكة ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِآدَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ

(١) سورة الأنفال الآية (١٢) .

(٢) سورة البقرة الآية (٣٠) .

﴿ وَٱسْتَكْبَرَ ﴾[١] .

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ﴾[٢] .

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ ﴾[٣] .

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾[٤] .

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾[٥] .

وورد في عدد من الأحاديث النبوية صفة هذا الوحي، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خُضْعاناً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذي قال: الحق، وهو العلي الكبير . . .))[٦] .

---

(١) سورة البقرة الآية (٣٤) .

(٢) سورة الأعراف الآية (١١) .

(٣) سورة الحجر الآية (٢٨) .

(٤) سورة الإسراء الآية (٦١) .

(٥) سورة الكهف الآية (٥٠) .

(٦) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٢٨ في كتاب التفسير باب (حتى إذا فزع عن قلوبهم) سبأ ٢٣،

=

وروى عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا، قال: فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل، فإذا أتاهم جبريل فزع عن قلوبهم، فيقولون: يا جبريل ما ذا قال ربك ؟ قال: يقول الحق، قال: فينادون الحق الحق))(١) .

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي، فإذا تكلم أخذت السموات منه رجفةٌ _ أو قال: رِعْدةٌ _ شديدة خوفاً من الله عز وجل، فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجداً، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير،قال: فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل))(٢) .

=وأورده الطبري في جامع البيان ٢٢/ ٩١، والبغوي في معالم التنزيل ٣/ ٥٥٧ .

(١) رواه أبو داوود ٢/ ٥٣٦-٥٣٧، وابن خزيمة في كتاب التوحيد ص ١٤٥، والبيهقي في الاسماء والصفات ص ٢٠١، وقال الألباني: (وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين الصحيحة ص ١٢٩٣، وأخرجه البخاري تعليقا وموقوفاً على ابن عباس ٨/ ١٩٤ .

(٢) رواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد ١/ ٣٤٨، والطبري في تفسيره ٢٢/ ٩١، والبيهقي في الأسماء والصفات ١/ ٥١١ حديث رقم ٤٣٥، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره، وانظر تفسير ابن كثير ٦/ ٥١٦،وقال الألباني: (إسناده ضعيف) السنة لابن أبي عاصم ١/ ٢٢٧، وروى نحوه الطبراني عن النواس بن سمعان مرفوعاً .

المبحث الثاني
وحي الله إلى رسله

وأعني به وحي الله عز وجل إلى رسله مباشرة أي بدون واسطة الملائكة، وهو على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: أن يكون الوحي مناماً:

ويدل عليه حديث علقمة بن قيس صاحب عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: ((إن أول ما يؤتى به الأنبياء في المنام، حتى تهدأ قلوبهم، ثم ينزل الوحي بعد في اليقظة))[1] .

وقد وقع الوحي بالمنام لإبراهيم عليه السلام كما جاء في قوله تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾[2]، ووقع أيضاً لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو أول ما بدء به الوحي وهو الرؤيا الصادقة كما في حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ((أول ما بديء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح))[3]، ولم تكن الرؤيا للرسول صلى

---

(١) ذكره ابن حجر في فتح الباري ١/ ١٠ وقال رواه أبو نعيم في الدلائل بإسناد حسن عن علقمة بن قيس صاحب ابن مسعود .

(٢) سورة الصافات الآيات (١٠٢-١٠٥) .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٣ في كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، ومسلم في صحيحه ١/ ١٣٩، ١٤٠ .

الله عليه وسلم خاصة بالفترة الأولى من الوحي، بل وقعت بعد ذلك كما في قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾[1].

النوع الثاني: أن يكون الوحي تكليماً بين النبي وربه، ويكون من وراء حجاب، ودل على ذلك النوع الثاني في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[2]، فإن الله عز وجل كلم أنبياءه مباشرة وبدون واسطة ولكن من وراء حجاب، ومن ذلك تكليم الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام حيث كلمه تكليماً بلا واسطة دون أن يراه، لكنه يسمعه ويدرك معناه مع يقينه بأنه كلام الله سبحانه وتعالى كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[4]، وكلام الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج حين فرض الصلوات وضاعف الحسنات

(١) سورة الفتح الآية (٢٧) .

(٢) سورة الشورى الآية (٥١) .

(٣) سورة النساء الآية (١٦٤) .

(٤) سورة الأعراف الآية (١٤٣) .

الحسنة بعشر أمثالها، حيث قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أنس بن مالك: ((فأوحى الله إليّ ما أوحى ففرض خمسين صلاة في كل يوم وليلة)) ثم قال: ((فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال: يا محمد إنهنَّ خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاةٍ عشرٌ فذلك خمسون صلاة، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشراً، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً، فإن عملها كتبت سيئة واحدة))[١] .

النوع الثالث: أن يكون إلهاماً يقذفه الله في قلب نبيه مباشرة، مع خلق علم ضروري عند النبي صلى الله عليه وسلم بأن هذا المعنى قذفه الله قطعاً ولا يقبل الشك ولا التأويل[٢]، ويدل عليه ما جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه: ((إن روح القدس نفث في رُوعي[٣] أن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها، ألا فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب))[٤] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٤٥، ١٤٦ في كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السموات وفرض الصلوات .

(٢) ينظر روح المعاني ٢٧/ ٥٠ .

(٣) الروع: بضم الراء القلب والخَلَدَ والخاطر وهو المراد هنا، وبالفتح الخوف والفزع .

(٤) الحديث سبق، وقد أخرجه القضاعي في مسند الشهاب ص ١٨٥ حديث رقم (١١٥١ – ١١٥٢) والبغوي في شرح السنة ١٤/ ٣٠٤، وابن عبدالبر في التمهيد ١/ ٢٨٤، والخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح ٣/ ٢٦٤ حديث رقم ٥٣٠٠ . قال ابن حجر: ((وحديث إن روح القدس نفث في رُوعي أخرجه ابن أبي الدنيا في القناعة، وصححه الحاكم من طريق ابن مسعود)) فتح الباري ١/ ٢٧، وصححه =

وقد وحد مجاهد بين هذا القذف والإلهام فقوله: ﴿ إِلَّا وَحْيًا ﴾ معناه: نفث ينفثه في قلبه فيكون إلهاماً، فكأنه يشير إلى أن العلم المتحصل من طريق هذا القذف هو الإلهام، والوسيلة له هو القذف في الروع[1] .

= الألباني في تخريجه لأحاديث مشكلة الفقر ص ١٩ .

(١) ينظر مجمع البيان للطبرسي ٩/ ٣٧ .

المبحث الثالث
وحي الملك إلى الرسول

وهذا النوع من الوحي هو أن يرسل الله الملك إلى النبي فيلقي إليه ما أمره الله به كما يدل عليه النوع الثالث في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[١] فقوله: ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ﴾ أي: يكون بإرسال ملك من الملائكة فيبلغ ما أمره الله بتبليغه إلى من شاء من عباده[٢] .

وهذا النوع هو أكثر أنواع الوحي ذكراً وورودا في القرآن الكريم، وأغلبه للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ﴾[٦] .

---

(١) سورة الشورى الآية (٥١) .

(٢) آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي ص ١٠ .

(٣) سورة الشعراء الآيات (١٩٢ - ١٩٤) .

(٤) سورة النحل الآية (١٠٢) .

(٥) سورة الأنعام الآية (١٠٦) .

(٦) سورة الأعراف الآية (٢٠٣) .

وقد بينت السنة أن وحي الملك إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يكون بصورتين:

الصورة الأولى: أن يأتيه مثل صلصلة الجَرَس .

فعن هشام بن عروة عن أبيه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهاأن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجَرَس وهو أشده علي فيفْصِمُ عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول)) .

قالت عائشة رضي الله عنها: ((ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً))[(١)] .

والصلصلة: صوت وقوع الحديد بعضه على بعض، ثم أطلق على كل صوت له طنين[(٢)] .

قال ابن حجر في تعليل قوله في الحديث ((هو أشده علي)): ((لأن الفهم من كلام مثل الصلصلة أشكل من الفهم من كلام الرجل بالتخاطب المعهود، والحكمة فيه أن العادة جرت بالمناسبة بين القائل والسامع وهي هنا

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٢، ٣ في كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي . فيفصم: أي: يقلع . ليتفصد: أي: يسيل عرقه، والفصم القطع من غير إبانة إذ كان الوحي ينقطع عن الرسول صلى الله عليه وسلم ليعود إليه، والقصم: القطع مع الإبانة .

(٢) انظر فتح الباري ١/ ١٩ .

إما باتصاف السامع بوصف القائل بغلبة الروحانية وهو النوع الأول، وإما باتصاف القائل بوصف السامع وهو البشرية وهو النوع الثاني))[١] أي تغلب على السامع وهو النبي المرسل إليه الروحانية كما في قوله: ﴿ إِلَّا وَحْيًا ﴾ وهو أن يأتي جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي وهو على صورته الملكية فيكلمه وهو يعي عنه ما يقول كما حدث ذلك في نزوله عليه أول مرة بقوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾[٢]،أو أن يتمثل جبريل عليه السلام بالبشرية لكن لا يعني تمثله أن ذاته التي خلقها الله عليه قد انقلبت بشرية بل هو تمثل بهذه الصورة فقط .

وقال ابن حجر أيضاً: ((والحق أن تثمل جبريل رجلاً ليس معناه أن ذاته انقلبت رجلاً، بل معناه أنه ظهر بتلك الصورة تأنيساً لمن يخاطبه))[٣].

وأوضح تلك الصورة البلقيني حيث قال: ((يجوز أن يكون الآتي هو جبريل بشكله الأصلي، إلا أنه انضم فصار على قدر هيئة الرجل، وإذا ترك ذلك عاد إلى هيئته، ومثال ذلك القطن إذا جمع بعد أن كان منتفشاً فإنه بالنفش يحصل على صورة كبيرة وذاته لم تتغير، وهذا على سبيل التقريب))[٤] .

(١) فتح الباري ١/ ١٩ .

(٢) سورة العلق الآيات (١ – ٥) .

(٣) فتح الباري ١/ ٢٠ .

(٤) انظر قوله في فتح الباري ١/ ٢٠.

ويقوم هذا النوع على اتصال بين جبريل عليه السلام وهو ملك وبين الرسول صلى الله عليه وسلم وهو بشر .

وقد أشار بعض العلماء إلى كيفية هذا الاتصال مع هذا الاختلاف في الخلقة الملكية، والخلقة البشرية، حيث يستدعي الأمر المناسبة بين الطرفين حتى يزول التنافر، ويحصل التلاؤم الذي لا بد منه بين المتكلم والسامع .

وذلك بأن تغلب البشرية على الملك، أو تغلب الروحانية على البشر فَيُفهم كل منهما الآخر .

قال الزركشي: ((التنزيل له طريقان: أحدهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انخلع من صورة البشرية إلى صورة الملائكة وأخذه من جبريل .

والثاني: أن الملك انخلع إلى البشرية حتى يأخذه الرسول منه، والأول أصعب الحالين))[1] .

الصورة الثانية: أن يأتي جبريل عليه السلام إلى الرسول في صورة رجل كدحية الكلبي، أو أعرابي فيكلمه كما يكلمه البشر .

وقد أخرج مسلم في صحيحه عن عبدالله بن عمر عن أبيه قال حدثني أبي عمر بن الخطاب قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم . فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: أخبرني عن

(١) البرهان في علوم القرآن: ١/ ٢٢٩، وانظر الإتقان ١/ ١٥٦ النوع السادس عشر .

الإسلام ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً)) قال: صدقت، قال فأخبرني عن الإيمان ؟ قال: ((أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)) قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان ؟، قال: ((أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك))، قال: فأخبرني عن الساعة ؟ قال: ((ما المسؤول عنها بأعلم من السائل))، قال: فأخبرني عن أماراتها ؟ قال: ((أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة، رعاء الشاء يتطاولون في البنيان)). قال ثم انطلق، فلبثت ملياً، ثم قال لي: ((يا عمر أتدري من السائل ؟)) قلت: الله ورسوله أعلم. قال: ((فإنه جِبْرِيل، أتاكم يعلمكم دينكم))[1] .

وقد ذكر الحليمي في كتابه المنهاج في شعب الإيمان أن الوحي كان يأتيه على ستة وأربعين نوعاً[2] .

وبعد النظر فيها نلحظ أنها تتحدث عن الأنواع والهيئات التي عليها حامل الوحي والموحى إليه .

قال ابن حجر: ((وغالبها من صفات حامل الوحي ومجموعها يدخل فيما ذكر))[3] .

---

(١) صحيح مسلم ١/ ٣٦، ٣٧ في كتاب الإيمان .

(٢) المنهاج في شعب الإيمان ١/ ٢٣٩-٢٥٥ .

(٣) فتح الباري ١/ ١٨ .

الفصل الثالث

وحي القرآن الكريم،

وفيه ستة مباحث

المبحث الأول: أمين الوحي ووصف القرآن له.

المبحث الثاني: صفة نزول القرآن الكريم على الرسول ﷺ.

المبحث الثالث: هيئات الوحي على الرسول ﷺ.

المبحث الرابع: مظاهر الوحي على الرسول ﷺ.

المبحث الخامس: حال الصحابة عند نزول الوحي.

المبحث السادس: قطعية الوحي ودلالاتها.

المبحث الأول

أمين الوحي ووصف القرآن له

أمين الوحي هو المَلَكُ جبريل عليه السلام الوسيط في نزول القرآن الكريم، وقد جاء ذكره باسمه ووصفه في القرآن الكريم في عدة مواضع:

١- **جبريل**: حيث ورد التصريح باسمه في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[١].

وجبريل اسم أعجمي ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة[٢]، وهو اسم مَلَكٍ عَلَمٌ له وهو الذي نزل بالقرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ((إنما قوله جبريل كقوله عبدالله وعبدالرحمن)).

وقال الأعمش: ((جبر: عبد، وإيل: الله))[٣].

وقال عكرمة: ((جبر: عبد،إيل: الله. وميكا: عبد، إيل: الله))[٤].

والملائكة ـ بما فيهم جبريل ـ عليهم السلام خلقوا من نور كما قال رسول

(١) سورة البقرة الآية (٩٧).

(٢) البحر المحيط ١/ ٥٠٩.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ١/ ١٨٢.

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان ١/ ٤٣٧.

الله صلى الله عليه وسلم: ((خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم))[١] ولهذا لا يستطيع أحد أن يراهم على صورتهم الحقيقية إلا الأنبياء عليهم السلام .

٢- **روح القدس**: وجاء هذا الوصف في قوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾[٣]،

قال قتادة والسدي والضحاك والربيع ((روح القدس: جبريل))[٤]،

قال ابن كثير: «والدليل على أن روح القدس هو جبريل ما قال البخاري عن عائشة رضي الله عنها: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع لحسان بن ثابت منبراً في المسجد، فكان ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((اللهم أيد حسان بروح القدس كما نافح عن نبيك)) وهذا من البخاري تعليق»[٥] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها ٤/ ٢٢٩٤ في كتاب الزهد، باب في أحاديث متفرقة .

(٢) سورة الشعراء الآيتان (١٩٣، ١٩٤) .

(٣) سورة البقرة الآية (٨٧) .

(٤) جامع البيان ١/ ٤٠٤ .

(٥) تفسير ابن كثير ١/ ٣٢١، وقال محققه: ((وقال الحافظ ابن حجر في ((النكت الظراف)) لم أر هذا الموضع في صحيح البخاري، وقد وصله أحمد والطبراني وصححه الحاكم)).

ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾[3] .

قال الطبري: ((وإنما سمى الله تعالى جبريل روحاً،لأنه كان بتكوين الله روحاً من عنده، من غير ولادة والد ولده، فسماه بذلك روحاً، وأضافه إلى القدس، والقدس: هو الطهر، كما سمى عيسى بن مريم روحاً لله من أجل تكوينه له روحاً من عنده من غير ولادة والد ولده))[4].

وقال الرازي: ((وسُمي بذلك لأن المراد من روح القدس الروح المقدسة، فوصف جبريل بذلك تشريفاً له وبياناً لعلو مرتبته عند الله تعالى))[5]، وزاد بأن إضافة روح إلى القدس في الآية، لأنه مجبول على الطهارة والنزاهة من العيوب، وروحانيته أتم وأكمل من سائر الملائكة يعني أنهم جميعاً ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[6] فخُصَّ دونهم جبريل بهذه الإضافة: ﴿ رُوحُ ٱلْقُدُسِ ﴾ .

---

(١) سورة النحل الآية (١٠٢) .

(٢) سورة المائدة الآية (١١٠) .

(٣) سورة المعارج الآية (٤) .

(٤) جامع البيان ١/ ٤٠٥ .

(٥) تفسير الرازي ٣/ ١٩٠ .

(٦) سورة التحريم الآية (٦) .

ولعل وصف جبريل بالروح يعطي دلالة على سلامة القرآن الكريم من الزيادة والنقصان لعظمة الناقل وكونه مخلوقاً واحداً حياً لا يعروه شائبة كسل أو فوات .

٣- **رسول**: ويدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[(١)] فالمقصود به هنا جبريل عليه السلام، لأنه ذكر صفته بعد ذلك، فإضافة القول له إضافة تبليغ لا إنشاء، فهو رسول رب العالمين من الملائكة إلى رسول الله من البشر محمد صلى الله عليه وسلم فهو رسول إلى رسول، وفي ذلك دلالة على تمام وسائل اليقين في نقل القرآن الكريم، فالناقل رسول ملك وطبيعتهم الأمانة والإتقان قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾[(٢)] .

٤- **الكريم**: كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[(٣)]، والكريم: العزيز على الله تعالى[(٤)]، النفيس في نوعه[(٥)] .

قال ابن كثير: ((يعني أن هذا القرآن لتبليغ رسول كريم، أي: مَلَكٌ شريفٌ حَسَن الخَلْقِ، بهي المنظر، وهو جبريل عليه الصلاة والسلام))[(٦)]،

(١) سورة التكوير الآية (١٩) .

(٢) سورة الأنبياء الآية (٢٧) .

(٣) سورة التكوير الآية (١٩) .

(٤) روح المعاني ٣٠/ ٥٩ .

(٥) انظر التحرير والتنوير ٣٠/ ١٥٥ .

(٦) تفسير ابن كثير ٨/ ٣٣٨ وعزاه لابن عباس والشعبي والحسن وقتادة وغيرهم .

وفي وصفه بالكريم جمع لوصفه بكل المحامد، ونفي للمذام كلها[١] .

٥- **القوة**: كما في قول الله تعالى: ﴿ ذِى قُوَّةٍ ﴾[٢] أي ذو قوة على ما كلف من أمر غير عاجز عن أدائه[٣]، وقوله سبحانه: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ ﴾[٤] أي: شديد الخلق شديد البطش والفعل[٥] .

قال ابن عاشور: ((ويجوز أن يكون من القوة المجازية، وهي الثبات في أداء ما أرسل به كقوله تعالى: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾، لأن المناسب للتعليم هو قوة النفس))[٦] .

وفي هذا الوصف دلالة على قدرة جبريل عليه السلام في أداء ما كلف به من مهام وأنه غير عاجز، ويدخل في هذه القوة: قوة الحفظ، وقوة الوصول إلى الرسول، وتلطف المجيء عند من أرسل إليه، وقوة البدن اللازمة للوصول لمن أرسل إليه في الوقت المطلوب، وقوة تمنع الشياطين أن تدنو منه وتنال منه شيئا، وأن تزيد أو تنقص مما أرسل به .

٦- **عند ذي العرش**: ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى

(١) انظر البحر المحيط ١٠/ ٤١٨ .

(٢) سورة التكوير الآية (٢٠) .

(٣) انظر جامع البيان ٣٠/ ٨٠ .

(٤) سورة النجم الآيتان (٥، ٦) .

(٥) انظر تفسير ابن كثير ٨/ ٣٣٨ .

(٦) التحرير والتنوير ٣٠/ ١٥٥ .

﴿قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ﴾[١] أي: عند الله تعالى، فهو قريب منه سبحانه .

وفي هذا الوصف دلالة على علو شأنه ومنزلته العالية عند الله تعالى فهو قريب من الله عز وجل، ويتلقى منه مباشرة، ويؤدي ما تلقاه لمن أرسل إليه .

٧- **مكين**: وذلك في قوله تعالى: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾[٢] أي: له مكانته عند الله عز وجل ومنزلة رفيعة، فمكين فعيل من مَكُن إذا علت رتبته عند غيره، بمعنى أن له منزلة تفوق منزلة سائر الملائكة .

ومما يلفت نظر المتأمل أن قوله ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ﴾ توسط بين ﴿ذِى قُوَّةٍ﴾ و ﴿مَكِينٍ﴾ مما يدل على أنه ذو قوة عند الله ومقدرة ومكانة تؤهله إلى أن يقوم بكل أمر عظيم يوكل إليه، مما يحتاج إلى قوة القدرة وقوة التدبير[٣] .

٨- **ذو مرة**: وذلك في قوله تعالى: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ﴾[٤]، فقد اتفق المفسرون على أن المراد به جبريل عليه السلام، والمِرَّة تطلق على الذات، وعلى متانة العقل وأصالته، وعلى الثبات فيما أرسل به .

قال مجاهد والحسن وابن زيد: « ((ذو مرة)) أي: ذو قوة».

(١) سورة التكوير الآيتان (١٩، ٢٠) .

(٢) سورة التكوير الآية (١٩) .

(٣) انظر التحرير والتنوير ٣٠/ ١٥٦ .

(٤) سورة النجم الآية (٦) .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ((ذو منظر حسن))[1]، وعلق ابن كثير على القولين بقوله «ولا منافاة بين القولين فإنه عليه السلام ذو منظر حسن، وقوة شديدة، وقد ورد في الحديث الصحيح من رواية أبي هريرة وابن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تحل الصدقة لغني، ولا لذي مِرَّة سَوِي)) »[2] .

٩- **مطاع**: ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾[3]، أي: له وجاهة وهو مسموع القول مطاع في الملأ الأعلى تطيعه الملائكة .

قال قتادة: ((أي في السماوات يعني ليس هو من أفناء[4] الملائكة بل هو من السادة والأشراف معتنىً به انتخب لهذه الرسالة العظيمة))[5].

وفي هذا الوصف دلالة على أن الملائكة يصدرون عن أمره مؤتمرون بما يأمر به لأنه أمين الوحي في السماء لأهل السماء .

١٠-**أمين**: كما في قوله تعالى: ﴿ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾[7]، فجبريل هو الأمين، أمين عند الله على وحيه

(١) تفسير ابن كثير ٧/ ٤٤٤ .

(٢) تفسير ابن كثير ٧/ ٤٤٤، والحديث أخرجه أبو داوود في سننه ١/ ٥١٤ رقم الحديث ١٦٣٤، وابن ماجه في سننه ١/ ٥٨٩ رقم الحديث ١٨٣٩ .

(٣) سورة التكوير الآية (٢١) .

(٤) لعل المقصود أفراد .

(٥) تفسير ابن كثير ٨/ ٣٣٩ .

(٦) سورة التكوير الآية (٢١) .

(٧) سورة الشعراء الآية (١٩٣) .

ورسالته وغير ذلك مما ائتمنه عليه[١]، ووصفه بالأمانة وصف عظيم جداً حيث زكى الله عز وجل عبده ورسوله الملكي جبريل كما زكى عبده ورسوله البشري محمداً صلى الله عليه وسلم[٢]، ومقتضى الأمانة حفظ ما عهده له الله به وأداؤه كاملاً دون نقص أو تغيير .

وبالجملة فهذه أبرز أوصاف أمين الوحي جبريل عليه السلام كما وردت في القرآن الكريم، وهي كما تدل على الثناء عليه بما هو أهله، فهي تدل أيضاً على صدق ما نزل به والاطمئنان له وتنويهاً بشأنه، فكمال القائل يدل على صدق القول، قال ابن القيم بعد أن ذكر صفات جبريل عليه السلام في سورة التكوير: ((فهذه خمس صفات تتضمن تزكية سند القرآن، وأنه سماع محمد من جبريل، وسماع جبريل من رب العالمين فناهيك بهذا السند علواً وجلالة: قول الله سبحانه بنفسه تزكيته)) .

ثم قال: ((هذا يدل على عظمة شأن المرسل، والرسول، والرسالة، والمرسَل إليه، حيث انتدب له الكريم القوي المكين عنده، المطاع في الملأ الأعلى، الأمين حق الأمين، فإن الملوك لا ترسل في مهماتها إلا الأشراف، ذوي الأقدار والرتب العالية))[٣] .

(١) انظر جامع البيان ٣٠/ ٨٠ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٨/ ٣٣٩ .

(٣) بدائع التفسير ٥/ ١٣٥-١٣٦ .

المبحث الثاني
صفة نزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: نزول الملك به من الله عز وجل.

المطلب الثاني: نزول القرآن الكريم على قلب النبي ﷺ

المطلب الثالث: المطلب الثالث: تنزلات القرآن الكريم

المطلب الرابع: نزول القرآن الكريم مفرقاً

المطلب الأول: نزول الملك به من الله عز وجل

وردت آيات كثيرة تدل على نزول القرآن من الله عز وجل بواسطة ملك الوحي جبريل عليه السلام .

وهذه الآيات وردت بعدة صيغ:

الأولى: التصريح بأن القرآن الكريم كلام الله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ﴾[1] .

قال ابن كثير: ((أي: القرآن تقرؤه عليه وتذكر له شيئاً من أمر الدين تقيم عليه به حجه الله))[2] .

الثانية: التصريح بأن القرآن الكريم من الله عز وجل، كما في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾[3]،أي: من عند الله الحكيم في أقواله وأحكامه، الخبير بعواقب الأمور[4] ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾[5]،وقوله تعالى: ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[6].

(١) سورة التوبة الآية (٦) .

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ١١٣ .

(٣) سورة هود الآية (١) .

(٤) انظر تفسير ابن كثير ٤/ ٣٠٣ .

(٥) سورة النمل الآية (٦) .

(٦) سورة المائدة الآية (٦٧) .

الثالثة: التصريح بأن جبريل أخذه من الله عز وجل ونزله على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1]، قال ابن كثير: ((من عادى جبريل فليعلم أنه الروح الأمين الذي نزل بالذكر الحكيم على قلبك من الله بإذنه له في ذلك))[2] ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾[4].

الرابعة: التصريح بأنه منزل من الله، كما في قول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾[5]، قال ابن كثير: ((أي: منيع الجناب، لا يرام أن يأتي أحد بمثله، ليس للبطلان إليه سبيل، لأنه منزل من رب العالمين))[6] ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ

(١) سورة البقرة الآية (٩٧) .

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٣٤١ .

(٣) سورة الشعراء الآيتان (١٩٣، ١٩٤) .

(٤) سورة النحل الآية (١٠٢) .

(٥) سورة فصلت الآيتان (٤١، ٤٢) .

(٦) تفسير ابن كثير ٧/ ١٨٣ .

(٧) سورة الحاقة الآية (٤٣).

﴿ إِلَيْهِمْ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[2] .

الخامسة: التصريح بأنه أمر من الله، كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾[3]، قال ابن كثير: ((يعني القرآن))[4] ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴾[5]

السادسة: التصريح بشهادة الملائكة لنزول جبريل به،كما في قوله تعالى: ﴿ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[6]، قال ابن كثير: ((أي: يشهدون بصدق ما جاءك وأوحى إليك وأنزل عليك، مع شهادة الله له بذلك ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾))[7] .

السابعة: التصريح بأن نزول جبريل بالقرآن بأمر الله عز وجل، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾[8].

و ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

---

(١) سورة النحل الآية (٤٤) .

(٢) سورة الفرقان الآية (٦) .

(٣) سورة الشورى الآية (٥٢) .

(٤) تفسير ابن كثير ٧/ ٢١٧ .

(٥) سورة غافر الآية (١٥) .

(٦) سورة النساء الآية (١٦٦) .

(٧) تفسير ابن كثير ٢/ ٤٧٦ .

(٨) سورة مريم الآية (٦٤) .

((يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزلت ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا ﴾[١] قال: كان هذا الجواب لمحمد صلى الله عليه وسلم))[٢] .

ومجموع هذه الآيات تدل على أن القرآن الكريم كلام الله أنزله بواسطة ملك الوحي (جبريل عليه السلام) على محمد صلى الله عليه وسلم في حال اليقظة، وأنه لم ينزل على الرسول صلى الله عليه وسلم مناماً أو إلهاماً أو تكليماً من الله بغير واسطة .

وأن نزول جبريل عليه السلام بالقرآن الكريم توقيفي فليس له من أمر القرآن الكريم إلا النقل، فنزوله كان بأمر الله كما هو صريح قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[٣]، أي: الله هو الذي أمره، وأرسله بذلك، فهو رسول محض[٤] .

أما قوله عز وجل: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾[٥] فمعناه: لقوله المبلِّغ له عن الله عز وجل فذكر ((رسول)) يدل على أنه يبلغ شيئاً أرسل به فنسبته

(١) سورة مريم الآية (٦٤) .

(٢) صحيح البخاري ٦: ٤٧١٣، أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ١٨٨ في كتاب التوحيد باب (ولقد سبقت لكلمتنا لعبادنا المرسلين)، و ٥/ ١٨٨ في كتاب التوحيد باب قوله تعالى: (وما نتنزل إلا بأمر ربك) .

(٣) سورة البقرة الآية (٩٧) .

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٤٢ .

(٥) سورة التكوير الآية (١٩) .

إليه نسبة تبليغ لا نسبة إنشاء، فالكلام إذن كلام الله سبحانه وتعالى ألفاظه ومعانيه، وجبريل عليه السلام مبلغ عن الله وبهذا الاعتبار نسب القول له[1]، قال ابن عاشور: ((وفي التعبير بوصف ((رسول)) إيماء إلى أن القول الذي يبلغه هو رسالة من الله مأمور بإبلاغها كما هي))[2] .

(١) انظر: أضواء البيان ٧/ ٧٠٣ .

(٢) التحرير والتنوير ٣٠/ ١٥٥ .

المطلب الثاني: نزول القرآن الكريم على قلب النبي ﷺ

ورد في القرآن الكريم أن نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم كان موضعه قلب النبي صلى الله عليه وسلم، كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾[٢].

فالقرآن نزل به جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فتلاه عليه، ووعاه قلبه منه، ورسخ في عقله رسوخاً كالنقش في الحجر، وسمعته أذناه بدليل تحريك لسانه بعد الملك، قال الله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾[٣].

وخص القلب بالذكر لأنه موضع العقل والعلم وتلقي المعارف[٤]، فثبت الذي نزل في قلب النبي صلى الله عليه وسلم حفظاً حتى أداه إلى أمته، قال الفخر الرازي: «(على قلبك) أي: فَهَّمَك إياه، وأَثْبَتَه في قلبك إثبات ما لا ينسى كقوله تعالى: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾[٥] »[٦].

(١) سورة البقرة الآية (٩٧) .

(٢) سورة الشعراء الآيتان (١٩٣، ١٩٤) .

(٣) سورة القيامة الآيات (١٦ – ١٩) .

(٤) انظر المحرر الوجيز ١: ٤٠٨ .

(٥) سورة الأعلى الآية (٦) .

(٦) تفسير الفخر الرازي ٢٤: ١٦٥، وانظر الكشاف ٤: ٤١٤ .

وفرَّق الزمخشري بين نزول القرآن على السمع أو القلب، فبيَّن أن النزول على القلب يحصل فيه الفهم والحفظ، أما النزول على السمع فقد يكون نزولاً بدون فهم، ولهذا جاء التعبير في القلب لتحقيق الأمرين الفهم والحفظ فقال: ((إن تنزيله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك، لأنك تفهمه ويفهمه قومك، ولو كان أعجمياً لكان نازلاً على سمعك دون قلبك، لأنك تسمع أجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها، وقد يكون الرجل عارفاً بعدة لغات، فإذا كلم بلغته التي لقنها أولاً ونشأ عليها وتطبع بها، لم يكن قلبه إلا إلى معاني الكلام يتلقاها بقلبه ولا يكاد يفطن للألفاظ كيف جرت وإن كُلِّم بغير تلك اللغة، وإن كان ماهراً بمعرفتها كان نظره أولاً في ألفاظها ثم في معانيها، فهذا تقرير أنه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربي مبين))(١) .

وذكر الآلوسي أن المراد بالقلب: إما الروح وكون الإنزال عليه، لأنه المدرك والمكلف دون الجسد .

وإما العضو المخصوص، وبَيَّن أن تخصيصه بالإنزال عليه للإشارة إلى كمال تعقله صلى الله عليه وسلم وفهمه ذلك المنزل، وقيل للإشارة إلى صلاح قلبه عليه الصلاة والسلام وتقدسه، حيث كان مَنْزِلاً لكلامه تعالى ليعلم منه حال سائر أجزائه صلى الله عليه وسلم فإن القلب رئيس جميع الأعضاء وملكها، ومتى صلح الملك صلحت الرعية، وفي الحديث: ((ألا

---

(١) الكشاف ٤: ٤١٥ .

وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب))[١] .

فائدة التعبير بالقلب:

إن تعبير الآيتين بنزول القرآن الكريم على قلب النبي صلى الله عليه وسلم دليل على أن القرآن محفوظ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم متمكن منه، وثابت في وعيه، لأن القلب موضع التمييز ومركز الحواس الروحية، ومحل الإدراك والوعي كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾[٢]، وتنديده تعالى بأن قلوب الكفار مغلقة بقوله: ﴿ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾[٤].

كما أن في ذلك إشارة إلى معجزة كبرى وهي حفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم للقرآن، لأن جبريل إنما يقرؤه عليه عند نزوله مرة واحدة فينتقش في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد يكون المنزل في الدفعة الواحدة طويلاً كسورة الأنعام التي نزلت دفعة واحدة، كما قد يتباعد وقت

(١) انظر روح المعاني ١٩: ١٢٠، ١٢١، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ١٩ في كتاب الإيمان باب فضل من استبرأ لدينه .

(٢) سورة ق الآية (٣٧) .

(٣) سورة محمد الآية (٢٤) .

(٤) سورة الحج الآية (٤٦)، وانظر تفسير الفخر الرازي ٢٤: ١٦٦، ١٦٧، والتفسير المنير ١٩: ٢٢٢ .

النزول بين آية والتي تليها في ترتيب المصحف إلى عشر سنوات فأكثر ومع ذلك لا يضيع منه شيء ولا يختلط عليه ترتيبه وهو الأمي صلى الله عليه وسلم، مع أنه أشد تفلتا من صدور الرجال من الإبل المُعَقَّلة(١) .

فائدة التعبير بالكاف في قوله تعالى: ﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾:

عبر في الآية بالكاف دون الياء لفوائد عدة ذكرها المفسرون أذكر منها ما يلي:

١ - لعظمته ورفعة منزلته صلى الله عليه وسلم.

٢ - الإيماء إلى حفظ المنزل بلفظه ومعناه.

٣ - التأكيد على أن القرآن الكريم من الله عز وجل، فلو قال: على قلبي، لقيل هذه دعوى لم يبينها لنا ربك ولم يقلها.

٤ - تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم وطمأنة له من أن تزعزعه كثرة تشكيكات أهل الكتاب، فكأن الخطاب من الله عز وجل للرسول صلى الله عليه وسلم قصداً له، لا لخصومه من أهل الكتاب، ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٣).

(١) تهذيب التفسير وتجريد التأويل ١: ٢٥٥، وانظر البحر المحيط ٨: ١٨٨ .

(٢) سورة الفرقان الآية (٣٢) .

(٣) سورة هود الآية (١٢٠)، وانظر تلقي النبي صلى الله عليه وسلم ألفاظ القرآن الكريم ٨٨، ١٤٥ .

فائدة التعبير بالحرف ﴿ عَلَىٰ ﴾ في قوله: ﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾:

أفاد التعبير بـ: ﴿ عَلَىٰ ﴾ عدة معان منها:

١ - الدلالة على أن القرآن الكريم مستعل على القلب، إذ القلب سامع له ومطيع، يمتثل ما أمر به ويجتنب ما نهى عنه[١].

٢ - تمكن هذا المنزل وانصبابه ورسوخه واستقراره على مكان نزوله، فإن الشيء إذا صب من أعلى إلى أسفل رسخ وثبت[٢].

٣ - دلالة ﴿ عَلَىٰ ﴾ على أن الإنزال يكون من أعلى إلى أدنى كما قال تعالى: ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾[٣].

---

(١) انظر البحر المحيط ١ / ٥١٣ .

(٢) انظر حاشية الصاوي على الجلالين ١/ ٦٤، والتحرير والتنوير ١٩ / ١٨٩ .

(٣) سورة آل عمران الآية (٨٤) .

المطلب الثالث: تنزلات القرآن الكريم

اختلف العلماء في تنزلات القرآن الكريم على أقوال عدة يمكن إجمالها في الآتي:

القول الأول: أن للقرآن تنزلين:

نزوله جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا في ليلة القدر الليلة المباركة في شهر رمضان المبارك .

ونزوله مفرقاً على الرسول صلى الله عليه وسلم في ثلاث وعشرين سنة .

وممن قال بذلك ابن عباس رضي الله عنهما وصححه الزركشي في البرهان قائلاً: ((والقول الأول أشهر وأصح، وإليه ذهب الأكثرون))[1] .

ووصفه ابن حجر بأنه الصحيح المعتمد[2] . وقال عنه السيوطي: ((وهو الأصح الأشهر))[3] .

وقال القرطبي: ((لا خلاف أن القرآن أنزل من اللوح المحفوظ ليلة القدر جملة واحدة، فوُضع في بيت العزة في سماء الدنيا، ثم كان جبريل صلى الله عليه وسلم ينزل به نجماً نجما في الأوامر والنواهي والأسباب، وذلك في عشرين سنة))[4] .

---

(١) البرهان في علوم القرآن ١/ ٢٢٨ .

(٢) فتح الباري ٩/ ٣ .

(٣) الإتقان في علوم القرآن ١/ ١٤٦ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٢٩٧ .

وذكر السيوطي في رسالته ((جواب السيوطي في حق الوحي)) جملة من الأقوال يدل ثالثها على أن جبريل أخذ القرآن من اللوح المحفوظ حيث قال: ((وحاصل ما في ذلك أقوال: أحدها أنه ألهمه، والثاني: أنه سمعه من الله، والثالث: أنه حفظه من اللوح المحفوظ))[١] .

أدلة أصحاب هذا القول:

استدل أصحاب هذا القول بعدة أدلة منها:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾[٤] .

فدل ظاهر هذه الآيات الثلاث أن القرآن الكريم أنزل جملة في ليلة واحدة توصف بأنها مباركة من شهر رمضان .

ويؤيد هذا ما رواه الحاكم وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾[٥]، قال: ((أنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا، وكان بمواقع النجوم، وكان ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضه في إثر بعض))[٦] .

---

(١) جواب السيوطي في حق الوحي ص ١٣٥ (مخطوط) .

(٢) سورة القدر الآية (١) .

(٣) سورة الدخان الآية (٣) .

(٤) سورة البقرة الآية (١٨٥) .

(٥) سورة القدر الآية (١) .

(٦) رواه الحاكم في مستدركه ٢/ ٢٢٢، وقال عنه صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأخرجه أيضاً البيهقي في السنن الكبرى ٤/ ٣٠٦ .

وما رواه أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي: حدثنا يزيد _ يعني ابن هارون _ عن داود بن أبي هند، عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أُنزِل القرآن جملةً واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة وقرأ: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾[1]، قال أبو عبيد: ((ولا أدري كيف قرأ يزيد في حديثه ﴿ فَرَقْنَٰهُ ﴾ مشددة أم لا ؟ إلا أنه لا ينبغي أن تكون على هذا التفسير إلا بالتشديد ﴿ فرَّقْناه ﴾))[2] .

وما رواه داوود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((أنزل القرآن إلى السماء الدنيا في ليلة القدر فكان الله إذا أراد أن يوحي منه شيئاً أوحاه أو أن يحدث منه شيئاً أحدثه))[3] .

وما رواه سعيد بن جبير قال: ((نزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر في رمضان فجعل في بيت العزة، ثم أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة جواب كلام الناس))[4] .

---

(١) سورة الإسراء الآية (١٠٦) .

(٢) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ٣٦٨، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٢٢٢ و ٢/ ٣٦٨ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي . وذكره ابن كثير في فضائل القرآن ص ٣٦ عن أبي عبيد ثم قال: هذا إسناد صحيح .

(٣) أخرجه النسائي في فضائل القرآن ص ٥٩ . والبيهقي في الأسماء والصفات ١/ ٣٦٨ . والحاكم في المستدرك ٢/ ٢٢٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

(٤) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن ص ١٢٦، والحاكم في المستدرك ٢/ ٢٢٢، ٢٢٣

القول الثاني:

أن للقرآن نزولاً واحداً على وجه التنجيم والتفريق وابتدأ بالنزول ليلة القدر، وهي الليلة المباركة من شهر رمضان .

وممن قال بذلك:

الشعبي[(١)]، ومحمد بن إسحاق[(٢)]، والنسفي[(٣)] .

ومن المتأخرين: القاسمي[(٤)]، ومحمد عبده[(٥)]، ومحمد رشيد رضا[(٦)]،

---

(١) انظر الكشاف ٦/ ٤٠٩، النكت والعيون للماوردي ٦/ ٣١٢، البرهان للزركشي ١/ ٢٢٩، الإتقان للسيوطي ١/ ١٤٨ .

وقد ذكر السخاوي في جمال القراء (١/ ٢٠) أن الشعبي من القائلين بالقول الأول مع ابن عباس وابن جبير بدليل ما أخرجه الطبري في تفسيره عن الشعبي في قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ قال: ((بلغنا أن القرآن نزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا)) . انظر تفسير الطبري ٢/ ١٤٥، ٣٠/ ٢٥٨ .

ولكن هذا القول غير دقيق حيث ورد عنه أنه قال في قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ قال: ((نزل أول القرآن في ليلة القدر)) . انظر تفسير الطبري ٣٠/ ٢٥٨، وانظر المحرر الوجيز لابن عطية ١٥/ ٥١٩ .

وقال ابن حجر: ((والمعتمد أن جبريل كان يعارض النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان بما ينزل به عليه في طول السنة . كذا جزم به الشعبي فيما أخرجه عنه أبو عبيد وابن أبي قتيبة بإسناد صحيح)) فتح الباري ٩/ ٥ .

(٢) ذكره الرازي في تفسيره ٣/ ٩١ .

(٣) تفسير النسفي ١/ ١١٨ .

(٤) محاسن التأويل ٢/ ٢٤٥ .

(٥) تفسير جزء عم ص ١٢٢، والمدخل لأبي شهبة ص ٥٢ .

(٦) تفسير المنار ٢/ ١٣١ .

والطاهر ابن عاشور[١]، وصبحي الصالح[٢]، وعبدالقادر شيبة الحمد[٣] .

أدلة أصحاب هذا القول:

استدل أصحاب هذا القول بأدلة منها:

١- قوله تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾[٤]، فهذه الآية تدل دلالة صريحة على نزول القرآن الكريم مفرقاً.

٢- قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾[٦]، وقوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾[٧]، فهي تدل على أنه ابتدأ نزوله في ليلة القدر وهي الليلة المباركة من شهر رمضان .

والصحابة رضوان الله عليهم حينما خوطبوا بهذه الآيات لا يعلمون من نزول القرآن إلا ما ألفوه بينهم من نزوله منجماً مفرقاً في المدد المتطاولة، والأزمنة المختلفة، وليس جملة واحدة في ليلة واحدة من شهر واحد كما

---

(١) التحرير والتنوير ٢/ ١٧٢، ٣٠/ ٤٥٦ .

(٢) مباحث في علوم القرآن ص ٥١ .

(٣) تهذيب التفسير وتجريد التأويل ١/ ٤٠٩ -٤١١ .

(٤) سورة الإسراء الآية (١٠٦) .

(٥) سورة القدر الآية (١) .

(٦) سورة الدخان الآية (٣) .

(٧) سورة البقرة الآية (١٨٥) .

زعم ذلك أصحاب القول الأول .

٣- الأدلة المتوافرة من القرآن الكريم على أنه منزل من الله تعالى ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ ﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾(٤)، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾(٥).

و(من) في هذه الآيات لابتداء الغاية، فنزول القرآن الكريم على النبي صلى الله عليه وسلم ابتداء من الله عز وجل وليس من اللوح المحفوظ.

٤ - الآيات الدالة على أن الله متكلم حقيقة كقوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾(٦)، وقوله تعالى: ﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾(٧)، وقوله تعالى:

(١) سورة الأنعام الآية (١١٤) .

(٢) سورة غافر الآيات (١-٣) .

(٣) سورة فصلت الآيتان (١، ٢) .

(٤) سورة السجدة الآيتان (١، ٢) .

(٥) سورة النحل الآية (١٠٢) .

(٦) سورة النساء الآية (١٦٤) .

(٧) سورة البقرة الآية (٢٥٣) .

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾(١) يعني القرآن، فهذه تدل على نسبة القرآن وغيره من كلام الله إليه نسبة قول وكلام له تعالى، وبهذا يتضح أن ابتداء القرآن من رب العالمين قولاً، ولم يبق أي لبس في أن القرآن سمعه جبريل من رب العالمين، كما سمع موسى عليه السلام الكلام من الله تعالى حقيقة(٢) .

٥- حديث النواس بن سمعان أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا أراد الله أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي، أخذت السماوات منه رجفة أو قال رِعْدة شديدة خوف أمر الله، فإذا سمع أهل السماوات صُعِقوا وخروا لله سجداً، فيكون أول من يرفع رأسه جبرائيل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد ثم يمر جبرائيل على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها ؟ ماذا قال ربنا يا جبرائيل ؟ فيقول جبرائيل، قال الحق وهو العلي الكبير، قال: فيقولون كلهم مثل ما قال جبرائيل، فينتهي جبرائيل بالوحي حيث أمره الله))(٣)، وما نزل به جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم هو القرآن الكريم

---

(١) سورة التوبة الآية (٦) .

(٢) انظر الجواب الواضح المستقيم في التحقيق في كيفية إنزال القرآن الكريم ٢، ٣ .

(٣) الحديث أخرجه ابن جرير في التفسير ٢٢/ ٩١، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير ٦/ ٥١٦، وأبو الشيخ في العظمة ٢/ ٥٠٠ رقم ٤٦، والبيهقي في الأسماء والصفات ٢٠٣، والطبراني في مسند الشاميين ١/ ٣٣٦ رقم ٥٩١، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٩٤، ٩٥ وقال عنه: ((رواه الطبراني عن شيخه يحيى بن عثمان بن صالح وقد وثق وتكلم فيه من لم يسم بغير قادح معين، وبقية رجاله ثقات))، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٦٩٨ .

بألفاظه وترتيبه الذي بين أيدينا بين دفتي المصحف الشريف، وليس لأحد أيا كان تدخل في ألفاظه أو ترتيبه لا الرسول صلى الله عليه وسلم ولا جبريل عليه السلام .

إذن فالرسول صلى الله عليه وسلم أخذه سماعاً من جبريل عليه السلام وجبريل سماعاً من الله عز وجل كما سبق ذكره وبيانه .

القول الثالث:

أن القرآن نزل إلى السماء الدنيا في عشرين ليلة قدر، أو ثلاث وعشرين، ينزل الله في كل ليلة منها ما يُقَدِّر إنزاله في كل السنة، ثم نزل بعد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم منجماً مدة بعثته عليه السلام .

وممن قال به ابن جريج[١]، وأبو عبيد الله الحسن بن الحسين الحليمي[٢]، ومقاتل بن حيان[٣]، وبنحوه قال مقاتل بن سليمان[٤] .

القول الرابع:

أن القرآن نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ وأن الحفظة نجمته على جبريل في عشرين ليلة، وأن جبريل نجمه على النبي صلى الله عليه

---

(١) انظر تفسير الطبري ٣/ ٤٤٧، الدر المنثور ١/ ٥٦٣ .

(٢) قاله في المنهاج ذكره أبو شامة في المرشد الوجيز ص ١٩، والزركشي في البرهان ١/ ٢٢٩

(٣) انظر الإتقان للسيوطي ١/ ١٤٨، الزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة المكي ١/ ١٥٢، ١٥٣ .

(٤) انظر تفسير مقاتل بن سليمان ١/ ٩٧، ٣/ ٥٠٣، وانظر هذا القول في نزول القرآن الكريم ٢٥ .

وسلم في عشرين سنة .

وهو رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما _ حكاها عنه الماوردي _ حيث قال: ((نزل القرآن في رمضان وفي ليلة القدر في ليلة مباركة جملة واحدة من عند الله تعالى في اللوح المحفوظ إلى السفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا، فنجمته السفرة على جبريل في عشرين ليلة، ونجمه جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة، وكان ينزل على مواقع النجوم أرسالاً في الشهور والأيام))[1] .

القول الخامس:

أن القرآن نزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة فحفظه جبريل عليه السلام وأملاه على السفرة .

وهذا القول نقله أبو شامة في المرشد الوجيز عن تفسير سهل النيسابوري عن جماعة من العلماء أن جبريل هو من أملاه على السفرة . قال: ((قال جماعة من العلماء: تنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى بيت، يقال له بيت العزة، فحفظه جبريل عليه السلام، وغُشِيَ على أهل السماء من هيبة كلام الله فمر بهم جبريل وقد أفاقوا فقالوا: ((ماذا قال ربكم قالوا الحق)) يعني القرآن وهو معنى قوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ ﴾[2] فأتى به جبريل إلى بيت العزة فأملاه جبريل على السفرة الكتبة . يعني الملائكة وهو قوله تعالى: ﴿ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ

(١) تفسير الماوردي ٦/ ٣١١ .

(٢) سورة سبأ الآية (٢٣) .

﴿ ... ﴿١٦﴾ ﴾))[١] [٢] .

وإلى هذا المعنى ذهب السخاوي في جمال القراء حينما تحدث عن حكمة إنزاله جملة فقال: ((وزاد سبحانه في هذا المعنى بأن أمر جبريل عليه السلام بإملائه على السفرة الكرام البررة عليهم السلام، وإنساخهم إياه وتلاوتهم له))[٣] .

وذهب بعض الباحثين إلى أن القرآن الكريم شمل جميع التنزلات المذكورة في الأقوال السابقة بمعنى أنه نزل إلى اللوح المحفوظ جملة واحدة، كما في قوله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾ ﴾[٤]، ثم تنزل من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا جملة واحدة . كما دلت على ذلك الآيات السابقة عن ابن عباس رضي الله عنهما، ثم تنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام منجماً .

وعلل من قال ذلك بأن تعدد التنزلات تدل على عظم من نزل عليه وإلهاباً للشوق إليه، ومبالغة في نفي الشك عنه حيث سجل في سجلات متعددة[٥] .

---

(١) سورة عبس الآيتان (١٥، ١٦) .

(٢) المرشد الوجيز لأبي شامة (٢٣)، وانظر تفسير القرطبي ٢٠/ ١٣٠ .

(٣) جمال القراء للسخاوي ١/ ٢٠ .

(٤) سورة البروج الآيتان (٢١، ٢٢) .

(٥) انظر الوحي والقرآن ٣٥، وما بعدها .

التوجيه بين الأقوال:

بعد النظر والتأمل في الأقوال السابقة لحظت أنها تكاد تنحصر في الأول والثاني أما بقية الأقوال فبينها تشابه وتقارب وترجع إلى الأول منها . والأول من الأقوال حضي بالشهرة بين العلماء والباحثين .

والقول الثاني القائل: بأن للقرآن نزولاً واحداً وهو النزول المنجم على النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه ابتدأ إنزاله في ليلة القدر، وهي الليلة المباركة من شهر رمضان، له وجاهته واعتباره حيث تعضده الأدلة الصريحة الدالة على أن القرآن الكريم كلام الله تعالى كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[1]، وأن القرآن منزل من عند الله كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾[4]، وأن جبريل أخذه من الله سماعاً بلا واسطة وتلقاه النبي صلى الله عليه وسلم من جبريل عليه السلام، كما في قوله تعالى: ﴿نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾[5]

(١) سورة التوبة الآية (٦) .

(٢) سورة الأنعام الآية (١١٤) .

(٣) سورة غافر الآيتان (١، ٢) .

(٤) سورة النحل الآية (١٠٢) .

(٥) سورة النحل الآية (١٠٢) .

بياناً لنزول جبريل به من الله عز وجل، وقوله: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾[١] .

وقالوا بأن الأقوال الأخرى: يترتب على الأخذ بها أن جبريل أخذ القرآن من اللوح المحفوظ أو من الملائكة، وأنه لم يسمعه من الله عز وجل، وأن القرآن نزل من مخلوق لا من الله .

قال البيهقي: ((وقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ يريد به _ والله أعلم _ إنا أسمعناه الملك، وأفهمناه إياه، وأنزلناه بما سمع فيكون الملك متنقلاً من علو إلى سفل))[٢] .

وقال ابن تيمية: ((فعلم أن القرآن العربي منزل من الله لا من الهواء، ولا من اللوح، ولا من جسم آخر، ولا من جبريل، ولا من محمد، ولا غيرهما، وإذا كان أهل الكتاب يعلمون ذلك فمن لم يقر بذلك من هذه الأمة كان أهل الكتاب المقرون بذلك خيراً منه من هذا الوجه))، ثم قال: ((فإن كونه مكتوباً في اللوح المحفوظ، وفي صحف مطهرة بأيدي الملائكة لا ينافي أن يكون جبريل نزل به من الله، سواء كتبه الله قبل أن يرسل به جبريل أو بعد ذلك))[٣] .

وقد رد سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم على جلال الدين السيوطي الذي ذكر جملة أقوال في كيفية إنزال القرآن الكريم من غير رد لها ولا إنكار قائلاً: ((وهذه المقالة اغتر بها كثير من الجهلة وراجت عليهم، والسيوطي

---

(١) سورة الشعراء الآية (١٩٣) .

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي ١/ ٣٦٢ .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٢/ ١٢٦ .

رحمه الله مع طول باعه، وسعة إطلاعه، وكثرة مؤلفاته، ليس ممن يعتمد عليه في مثل هذه الأصول العظيمة . وهذه المقالة مبنية على أصل فاسد، وهو القول بخلق القرآن، وهذه هي مقالة الجهمية والمعتزلة ومن نحى نحوهم، وهذه المقالة الخاطئة حقيقتها إنكار أن يكون الله متكلماً حقيقة . . . ثم قال: والقائلون بخلق القرآن منهم من يقول خلقه في اللوح المحفوظ وأخذ جبريل ذلك المخلوق من اللوح المحفوظ وجاء به إلى محمد صلى الله عليه وسلم، ومنهم من يقول خلقه في جبريل، ومنهم من يقول خلقه في محمد صلى الله عليه وسلم إلى غير ذلك من أقوالهم)) .

وقال أيضاً: ((فإن الذي عليه أهل السنة والجماعة قاطبة أن الله تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وإن جبريل عليه السلام سمع القرآن الكريم من الله تعالى وبلغه إلى محمد صلى الله عليه وسلم))[1] .

وقد أجاب عن دليل أصحاب القول الثالث ابن حجر بقوله: ((وهذا أورده ابن الأنباري من طريق ضعيفة ومنقطعة أيضاً))[2] .

كما رد ابن العربي في أحكام القرآن على أصحاب القول الرابع حيث قال: ((ومن جهلة المفسرين أنهم قالوا إن السفرة ألقته إلى جبريل في عشرين ليلة، وألقاه جبريل إلى محمد، عليهما السلام في عشرين سنة وهذا باطل، ليس بين جبريل وبين الله واسطة ولا بين جبريل ومحمد صلى الله

(١) الجواب الواضح المستقيم في التحقيق في كيفية إنزال القرآن الكريم للشيخ محمد بن إبراهيم ص ٢، ٣ .

(٢) فتح الباري ٩/ ٣، وذكره عنه القسطلاني في لطائف الإشارات ١/ ٢٢ .

عليهما واسطة))[١] .

وقد أشار إلى رده القرطبي في تفسيره[٢] .

وقد يقول قائل بأنه ورد آيات تدل على وجود القرآن الكريم في اللوح المحفوظ كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾[٣]، وقوله عز وجل: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝٢٢ ﴾[٤]، وقوله عز وجل: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ ﴾[٥] .

وقوله عز وجل: ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ۝١٤ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ۝١٦ ﴾[٦] .

فيقال له: إن هذا لا يمنع من القول بأن القرآن الكريم موجود في اللوح المحفوظ مكتوب فيه فوجود القرآن في اللوح المحفوظ ليس خاصاً به، فاللوح المحفوظ يشمل كل ما علمه الله تعالى وقدره . قال الإمام البيهقي: ((إن الله تعالى نفى عن كلامه الحدث بقوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٦١ .

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٣٠ .

(٣) سورة الزخرف الآية (٤) .

(٤) سورة البروج الآيتان (٢١، ٢٢) .

(٥) سورة الواقعة الآيات (٧٧ - ٧٩) .

(٦) سورة عبس الآيات (١١ - ١٦) .

لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[1] فأخبر أنه موجود مكتوب قبل الحاجة إليه في أم الكتاب. وقوله عز وجل: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾ ﴾[2] فأخبر أن القرآن كان في اللوح المحفوظ، يريد مكتوباً فيه، وذلك قبل الحاجة إليه، وفيه ما فيه من الأمر والنهي والوعد، والوعيد، والخبر، والاستخبار، وإذا ثبت أنه كان موجوداً قبل الحاجة إليه ثبت أنه لم يزل كذلك))[3].

(١) سورة الزخرف الآية (٤) .

(٢) سورة البروج الآيتان (٢١، ٢٢) .

(٣) الأسماء والصفات ١/ ٣٦١، ٣٦٢ .

المطلب الرابع: نزول القرآن الكريم مفرقاً

تفرد القرآن الكريم بنزوله على محمد صلى الله عليه وسلم مفرقاً،في مدة استمرت منذ بعثته صلى الله عليه وسلم حتى وفاته، قدرت بثلاث وعشرين سنة على القول المشهور، وهي المدة التي تفصل بين أول ما نزل وآخر ما نزل .

وكانت الكتب السماوية السابقة نزلت على الأنبياء السابقين جملة واحدة، قال الرازي: ((فما وصل إلينا من ذكر شرائع من سبق من الأنبياء مستفاداً من القرآن الكريم والأخبار يصور لنا بما لا يقبل الشك والجدل أن كلاً منها نزلت على صاحبها وحدة متكاملة في وقت واحد، وأحياناً في موقف واحد، وهذا الحال ينطبق على شريعة نوح التي عبر عنها القرآن الكريم بما وصى به، وكذلك على ما كان من شرائع إبراهيم المعبر عنها بالكتاب والصحف، وشريعة موسى النازلة دفعة واحدة، وعبر عنها بالتوراة والألواح والكتاب والنازلة دفعة واحدة في موقف التكليم على طور سيناء، كما ينطبق على شريعة عيسى المعبر عنها بالإنجيل، قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ ﴾[١] [٢] .

(١) سورة الشورى الآية (١٣) .

(٢) التفسير الكبير ٢٤/ ٧٨ .

وسأتناول هذا المطلب من خلال العنصرين التاليين:

١ - أدلة نزوله مفرقاً .

٢ - حكمة نزوله مفرقاً .

١ - أدلة نزول القرآن الكريم مفرقاً:

نزل القرآن الكريم مفرقاً في ثلاث وعشرين سنة على القول المشهور.

ومن الأدلة على ذلك:

١ - قوله تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾[1]، أي: وأنزلنا هذا القرآن مفرقاً، لتقرأه على الناس على مهل، ليتدبروه، ويتفكروا في معانيه، ويستخرجوا علومه، ونزلناه شيئاً فشيئاً، مفرقاً في ثلاث وعشرين سنة[2]، لما في ذلك من المصلحة، ولو أخذوا بجميع الفرائض في وقت واحد لنفروا ولم يطيقوا .

٢ - قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾[3]، حيث رد الله سبحانه وتعالى على الكفار الذين شككوا في كون القرآن الكريم صادر عن الله عز وجل بسبب نزوله مفرقاً وأثبت أنه سبحانه نزله على نبيه بحال تختلف عن سابقيه من الأنبياء الذين نزلت عليهم كتبهم جملة،

---

(١) سورة الإسراء الآية (١٠٦) .

(٢) انظر تفسير السعدي ص ٤١٩، فتح القدير ٣/ ٢٦٤ .

(٣) سورة الفرقان الآية (٣٢) .

وهـذه الحـال هـي نزولـه مفرقـاً، ثـم علـل ذلـك بإنـه كـذلك أنزلنـاه على هذه الهيئة لنثبت به فؤادك .

٣- وقـــال تعـــالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾(١)، أي: عند تلقيك يا محمد القرآن الكريم على هـذه الهيئة وهـي النزول مفرقاً لا تتعجل بأخذه فإن الله يتعهـد لـك بجمعـه في صـدرك وحفظه في لسانك .

٤- ومما يدل أيضاً على نزوله مفرقاً ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم إن أول مـا نـزل مـن القـرآن قولـه تعـالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾(٢)، فعن عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها قالـت: ((أول مـا بـديء بـه رسـول الله صلى الله عليـه وسـلم الرؤيـا الـصالحة، فجاءه الملك، فقـال: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ﴾(٣) (٤) .

ثم نزلت سورة المدثر، ثـم تتـابع الـوحي عـلى رسـول الله صـلى الله عليـه وسلم، يدلنا على ذلك ما رواه جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: وهو

---

(١) سورة القيامة الآيتان (١٦، ١٧) .

(٢) سورة العلق الآيات (١ – ٥) .

(٣) سورة العلق الآيات (١ – ٣) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٨٩، في كتاب: التفسير، باب: سورة (أقرأ باسـم ربـك الذي خلق) .

يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه: ((بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرُعِبْتُ منه فرجعت فقلت: زملوني، زملوني فأنزل الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ ﴾[1] فحمي الوحي وتتابع))[2] .

٥- نزول آيات من القرآن الكريم في مناسبات وأسباب مختلفة، سواء كانت بسبب حوادث حدثت أو وقائع وقعت فنزل القرآن متحدثاً عنها، أو أسئلة وجهت إلى النبي صلى الله عليه وسلم في أوقات متفاوتة فنزل القرآن مجيباً عليها .

ومن أمثلة الحوادث: حادثة اللعان، والظهار، والإفك، ونحوها .

ومن الوقائع: وقعة بدر، وأحد، وحنين، والأحزاب، وغيرها .

ومن الأسئلة: السؤال عن الخمر، وعن الروح، وعن النفقة، وغيرها.

٢- حكمة نزول القرآن الكريم مفرقاً:

تناول المؤلفون في علوم القرآن الحكمة من نزوله مفرقاً فذكروا جملة من الحكم المتعددة، والمنافع المتنوعة، والأسرار في هذا التنزيل المفرق .

---

(١) سورة المدثر الآيات (١ – ٥) .

(٢) صحيح البخاري ١/ ٤ في كتاب: بدء الوحي، باب كيف كان بَدْءُ الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

جمعوا فيها بين الحكم والفوائد، لذا رأيت أن أجعلها على قسمين:

الأول: حِكَم نزول القرآن مفرقاً .

الثاني: فوائد نزول القرآن مفرقاً

الأول: حِكَم نزول القرآن الكريم مفرقاً:

لقد جاءت الحكم من نزول القرآن الكريم صراحة في آيتين، ولذا سأقتصر عليهما، وما عداهما فهي أقرب إلى أن تكون فوائد استنبطت من هذه الكيفية في التنزيل .

١- تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم:

كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾[1]، حيث أشارت إلى أن عدم إنزال القرآن الكريم جملة واحدة، وأن إنزاله مفرقاً لتثبيت فؤاده صلى الله عليه وسلم ليتجدد سروره، عند تجدد الاتصال بالملأ الأعلى فيُسَرُّ النبي صلى الله عليه وسلم وينشرح صدره لما يلقاه من العداء الشديد من قومه وإيذائهم له في بداية دعوته، وإعراضهم عن قبولها، فعند نزول الوحي يشعر بعناية الله به، واستمرار تأييده له أمام تكذيب خصومه له ولأتباعه .

ومن ذلك ما حدث من أبي جهل من تهديد للنبي صلى الله عليه وسلم ونهي له عن الصلاة عند الكعبة فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال

(١) سورة الفرقان الآية (٣٢) .

أبو جهل: (لئن رأيتُ محمداً يُصلي عند الكعبة لأطأنَّ على عنقه، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «لو فَعَلهُ لأخذته الملائكة»)[1].

وذكر المفسرون أن الله أنزل فيه قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴿١٩﴾﴾[2].

وحين يفتر الوحي يشق ذلك على الرسول صلى الله عليه وسلم فيتلهف على مجيء الوحي، ثم ينزل الوحي بعد طول فترة فيُسر رسول الله صلى الله عليه وسلم للوحي الذي قد تأخر عليه فيزيل كل أثر حزن ألمَّ به .

ويروي لنا الإمام البخاري بسنده عن الأسود بن قيس، وفيه تصوير لحالة النبي صلى الله عليه وسلم أثناء فترة الوحي فعنه قال: «سمعت جندب بن سليمان رضي الله عنه قال: «اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً فجاءت امرأة فقالت: يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قَرِبَك منذ ليلتين أو ثلاثاً فأنزل الله عز وجل: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾﴾»[3]، فثبت الله بذلك فؤاده، وتجدد سروره، وتنشط لحمل الرسالة .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٨٩ في كتاب التفسير، باب: سورة (أقرأ باسم ربك الأعلى . . .) .

(٢) سورة العلق الآيات (٩-١٩)، وانظر جامع البيان ٣٠/ ٢٥٣، وتفسير ابن كثير ٨/ ٤٣٨ .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٨٦ في كتاب: التفسير: باب سورة والضحى.

وكان إذا اشتد الأذى عليه نزلت الآيات تسلية له وتخفيفا عما يلقاه، إذ كان عليه السلام يحزن ويتحسر على عدم إيمان قومه به وصدودهم عن دعوته، كما قال تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴾(١)، وقال عز وجل: ﴿ قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴾(٢) .

فإذا أشتد الأذى عليه نزلت الآيات تسلية له وتخفيفاً عما يلقاه، وكانت التسلية بعدة أمور منها:

- عن طريق قصص الأنبياء والمرسلين ليقتدي بهم في صبرهم وجهادهم كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ ﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾(٤)، وقوله تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ ﴾(٥)، وكما قال عز وجل مبينا الحكمة من ذكر قصص الأنبياء: ﴿ وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾(٦) .

---

(١) سورة الكهف الآية (٦)، وباخع نفسك: أي قاتلها هما وحزنا .

(٢) سورة الأنعام الآية (٣٣) .

(٣) سورة الأنعام الآية (٣٤) .

(٤) سورة الأحقاف الآية (٣٥) .

(٥) سورة الطور الآية (٤٨) .

(٦) سورة هود الآية (١٢٠) .

- عن طريق الوعد بالنصر والتأييد للنبي صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى: ﴿ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾[2] .
- عن طريق إخبار الرسول باندحار أعدائه وانهزامهم كما قال: ﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴾[4] .

إذن فتكرر نزول جبريل، وتجدد نزول الوحي فيه تثبيت لفؤاد النبي صلى الله عليه وسلم وتسلية له، وفيه الوعد بنصره وتأييده مما يقوي قلبه لمتابعة الدعوة والمضي في تبليغ الرسالة .

٢- تيسير حفظه وفهمه:

من المعلوم أن العرب كانوا أميين كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ ﴾[5]، كما كان صلى الله عليه وسلم كذلك: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ﴾[6]، وإن كان الرسول صلى

(١) سورة الفتح الآية (٣) .

(٢) سورة الصافات الآيات (١٧١ - ١٧٣) .

(٣): سورة القمر الآية (٤٥) .

(٤) سورة آل عمران الآية (١٢) .

(٥) سورة الجمعة الآية (٢) .

(٦) سورة الأعراف الآية (١٥٧) .

الله عليه وسلم قد وُعِد بأنه سيعان على الحفظ بحيث لا ينساه، كما قال تعالى: ﴿ سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ١٦ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ١٧ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴾[٣]، فإن المسلمين بحاجة إلى زمن يساعدهم على الحفظ، فاقتضت حكمة الله تعالى أن ينزل كتابه منجماً ليسهل حفظه وفهمه على المسلمين، وقد جاء ذلك صريحاً في قول الله تعالى: ﴿ وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴾[٤]، أي على مهل وتؤده لكي يحفظه الناس ويفهموا معناه، فالذين نزل عليهم كانوا يعتمدون على ذاكرتهم في حفظه وتلاوته فهم أميون وأدوات الكتابة غير ميسورة لكاتبيهم، فلو نزل جملة واحدة لعجزوا عن حفظه، وبالتالي عن تدبره وفهمه .

إن نزول القرآن الكريم منجماً أدعى إلى سهولة حفظه وفهمه وأيسر وأوفق بالفطرة البشرية .

---

(١) سورة الأعلى الآية (٦) .

(٢) سورة القيامة الآيات (١٦ – ١٩) .

(٣) سورة طه الآية (١١٤) .

(٤) سورة الإسراء الآية (١٠٦) .

الثاني: فوائد نزول القرآن الكريم مفرقاً:

١ - التحدي والإعجاز:

إن نزول القرآن الكريم مفرقاً يجعله في كل نزلة معجزة له، وذلك من خلال ما يلي:

- تحدي الكفار من أن يأتوا بمثل هذا المنزل فهو أعطاهم الفرصة لكي يعرضوا ما ينزل منه فلما عجزوا دل ذلك على الإعجاز .
- إن ما نزل مفرقاً وفي أوقات متباعدة وقد بدت سوره ذات موضوعات متماسكة، ويسود السورة انسجام وائتلاف وكأنها أنزلت مرة واحدة، وقد يكون أول السورة قد نزل بعد آخرها لأكبر دليل على إعجاز القرآن الكريم ﴿ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾[١] فلو كان من كلام البشر وقيل في مناسبات متعددة ووقائع متتالية وأحداث متعاقبة، لوقع فيه التفكك والانفصام، واستعصى أن يكون بينه التوافق والانسجام ﴿ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[٢] .
- قطع الحجة على الكفار، فلو نزل جملة واحدة لقالوا: شيء جاءنا مرة واحدة لا نستطيع معارضته، ولو أنه جاءنا قطعاً قطعاً لعارضناه، فقطع الله عليهم الحجة فأنزله مفرقاً .

---

(١) سورة هود الآية (١) .

(٢) سورة النساء الآية (٨٢) .

٢- التدرج في انتزاع العقائد الباطلة:

بعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى قوم يعبدون الأصنام ويشركون بالله غيره، ويسفكون الدماء، ويشربون الخمر، ويزنون، ويغتصبون الأموال، ويئدون البنات خشية العار، ويقتلون الأولاد خشية الفقر، ويظلمون النساء، ويتزوجون نساء الآباء، ويجمعون بين الأختين، ويتظالمون . . .

ومعلوم أن النفس الإنسانية يشق عليها ترك ما تعودته مرة واحدة والإقلاع عنه بمجرد النهي عنه، فلو نزلت أحكام هذه العقائد جملة واحدة وطالبتهم بالتخلي عما هم عليه لصعب عليهم ذلك، بل قد لا يستجيب أحد لذلك، من هنا كانت الفائدة الكبرى من التدرج معهم في انتزاع هذه العقائد من خلال نزول القرآن الكريم مفرقاً وشيئاً فشيئاً .

٣- التدرج في تثبيت العقائد الصحيحة:

لقد تدرج نزول القرآن الكريم في بيان العقائد الصحيحة والأحكام التعبدية والعملية والآداب والأخلاق الفاضلة، فكان أول ما تناوله القرآن: أصول الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وما فيه من بعث وحساب وجزاء وجنة ونار، ويقيم على ذلك الحجج والبراهين، وكان يأمر بمحاسن الأخلاق وينهى عن الفحشاء والمنكر، ويبين قواعد الحلال والحرام، ويدل على ذلك ما أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله عنها في أول حديثها الذي قالت فيه: ((إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبداً،

ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبدا))[1].

٤ – التدرج في التشريع:

وذلك أن بعض الأحكام الشرعية قد يكون من الضرورة إنزال حكمها متدرجاً، حتى يتقبل الناس الحكم الشرعي الأخير ومن أوضح الأمثلة في ذلك تحريم الخمر وتشريع الجهاد.

ففي **تحريم الخمر** جاءت أول إشارة إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾[2]، ففي هذه الآية امتنان من الله بنعمته على عباده، وفيها لفتة إلى قبح وعدم استحسان السكر حيث قوبل بالرزق الموصوف بالحسن دون أن يصفه أو يمدحه. مما يشعر بمدح الزرق والثناء عليه وحده دون السكر.

ثم نزل قوله تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ ﴾[3]، ففي هذه الآية تصريح بأن الخمر ضررها أكثر من نفعها.

ثم نزل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾[4]، في ذلك نهي عن شربها في الأوقات التي

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ١٠١ في كتاب: فضائل القرآن، باب: تأليف القرآن.

(٢) سورة النحل الآية (٦٧).

(٣) سورة البقرة الآية (٢١٩).

(٤) سورة النساء الآية (٤٣).

يستمر تأثيرها إلى وقت الصلاة .

ثم نزل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝٩١ ﴾[١]، ففي هذه الآيات تحريم قطعي للخمر في كل الأوقات وبأي قدر وعلى أية صورة .

وهكذا تم التدرج في إنزال الحكم الشرعي بهذه الآفة التي كانت متأصلة في نفوس الناس حتى نزل الحكم النهائي الشافي الكافي بعد أن تمكن الإيمان في النفوس، وأصبحت متهيئة لاستقبال هذا الحكم الشرعي والقضاء على هذا الداء الذي كان مستشرياً بين الناس، وليت الأمة الإسلامية تعي هذا المنهج وتستفيد منه في القضاء على المسكرات والمخدرات التي أعيتها وصرفت عليها الأموال الباهظة دون نتيجة تذكر .

وفي تشريع الجهاد مر بمراحل ثلاث:

- النهي عنه وذلك في أول الدعوة وقبل الهجرة، ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[٣]، وقوله

(١) سورة المائدة الآيتان (٩٠، ٩١) .

(٢) سورة فصلت الآية (٣٤) .

(٣) سورة المائدة الآية (١٣) .

تعالى: ﴿ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ ﴾[1] .

- الإذن به من غير فرض، وذلك في قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[2] .
- الأمر به والتأكيد عليه وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ ﴾[4]،وقوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[5] .

٥ - مجاراة الحوادث والوقائع وإجابات الأسئلة:

فكلما حدثت حادثة أو وقعت واقعة أو وجه سؤال إلى النبي صلى الله عليه وسلم نزلت الآيات مبينة له .

---

(١) سورة البقرة الآية (١٠٩) .

(٢) سورة الحج الآيتان (٣٩، ٤٠) .

(٣) سورة البقرة الآية (١٩٠) .

(٤) سورة التوبة الآية (٣٦) .

(٥) سورة البقرة الآية (٢١٦) .

فمن الحوادث ما يستجد من أحداث تلامس المسلمين عموماً كالآيات التي نزلت بعد غزوة أحد يعاتبهم الله عز وجل على فشلهم وتنازعهم وعصيانهم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم والبحث عن الغنائم الدنيوية فقال عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] .

وما نزل بعد غزوة حنين حين اغتر المسلمون بكثرتهم وضعف اعتمادهم على الله في طلب النصر فقال عز وجل: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾
ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ
بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾[2] .

ومن الأقضية والوقائع ما كان يحدث بين أفراد المسلمين من قضايا تحتاج إلى معرفة الحكم الشرعي، ومن ذلك ما جاء في حادثة الإفك فقد نزلت فيها آيات بينات تبرئ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وتدين من

(١) سورة آل عمران الآية (١٥٢) .

(٢) سورة التوبة الآيات (٢٥ – ٢٧) .

رموها دون وجه حق فقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾(١) .

وأيضاً ما جاء في حاثة خولة بنت ثعلبة التي ظاهر منها زوجها أوس بن الصامت فأنزل الله عز وجل بيان حكم الظهار في الإسلام: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ

(١) سورة النور الآيات (١١ - ٢٠) .

ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّاۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[١].

ومن إجابات الأسئلة ما كان يوجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم من أسئلة سواء كانت من قبل الصحابة غرض الاسترشاد والمعرفة أم من الكفار واليهود للتثبت والتحقق من رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، فمن النوع الأول: قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَاۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَۗ ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾[٤].

ومن النوع الثاني: قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن

(١) سورة المجادلة الآيات (١ – ٤) .

(٢) سورة البقرة الآية (١٨٩) .

(٣) سورة البقرة الآية (٢١٩) .

(٤) سورة البقرة الآية (٢١٥) .

(٥) سورة الإسراء الآية (٨٥) .

ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾[1] .

٦ – تعميق الأثر في النفس:

إن ربط نزول الآية بالحادثة أو الواقعة يؤدي إلى أن يتذكر الناس جميعاً هذه الآية، ويعمق أثرها في النفس البشرية، لأن الآية عندما تعالج جانباً من حياة الناس عاشوه لحظة بلحظة أدعى إلى أن يتذكر ويبقى أثره في الناس[2] .

(١) سورة الكهف الآية (٨٣) .

(٢) انظر في الحِكَم والفوائد: مناهل العرفان ١/ ٥٣، ومباحث في علوم القرآن لمناع القطان ١٠٧، نزول القرآن الكريم د. محمد الشايع ٤٢، تنزلات القرآن وحكمة كل تنزيل ٣٢.

المبحث الثالث

هيئات الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الرؤيا الصادقة في المنام

المطلب الثاني: تمثل جبريل في صورته الملكية .

المطلب الثالث: تمثل جبريل في صورة بشر.

المطلب الرابع: النفث في روع النبي صلى الله عليه وسلم.

المطلب الأول: الرؤيا الصادقة في المنام

وهي أول مراتب الوحي فكان النبي صلى الله عليه وسلم يرى في منامه الرؤيا وتأتي صالحة صادقة، دل على ذلك حديث عائشة رضي الله عنها في بدء الوحي حيث قالت: ((أول ما بديء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة _ وفي رواية لمسلم: الرؤيا الصادقة _ في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه _ وهو التعبد _ الليالي ذوات العدد . . .))[١] .

فالرؤيا الصادقة: هي التي ليس فيها ضغث، قال ابن المرابط: ((هي التي ليست ضغثا، ولا من تلبيس الشيطان، ولا فيها ضرب مثلٍ مُشْكِل))[٢] .

وهذه الرؤيا واضحة فقد شبهتها عائشة رضي الله عنها كما في الحديث السابق بفلق الصبح لظهورها الواضح الذي لا شك فيه . وتعد هذه الرؤيا أحد الإرهاصات لظهور نبوته صلى الله عليه وسلم وبعثته وتلقي الوحي في اليقظة، ويدل على هذا حديث علقمة بن قيس _ صاحب ابن مسعود رضي الله عنه – قال: ((إن أول ما يؤتى به الأنبياء في المنام – أي ما يكون في المنام – حتى تهدأ قلوبهم، ثم ينزل الوحي)) أي: في

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٣ في كتاب بدء الوحي: باب كيف كان بدء الوحي، ومسلم في صحيحه ١/ ١٣٩، ١٤٠ حديث رقم ١٦٠ .

(٢) فتح الباري ٨/ ٥٥٠ .

اليقظة[١].

وقال ابن أبي جمرة مبيناً الحكمة منها: ((أن شمس النبوة كانت مباديء أنوارها صحة المرائي وصدقها، فما زال النور يتشعشع ويتسع ويبين حتى بدأ شمسها وهو ما أنزل عليه من الهدى والفرقان))[٢].

وقال القاضي عياض في تعليقه على حديث عائشة رضي الله عنها: ((في هذا: حكمة من الله تعالى وتدريج لنبيه صلى الله عليه وسلم لما أراده الله جل اسمه به، لئلا يفاجأه الملك، ويأتيه صريح النبوة بغتة فلا تحتملها قوى البشرية، فبدأ أمره بأوائل خصال النبوة وتباشير الكرامة، من صدق الرؤيا، ثم قال: وفيه: أن الرؤيا الصادقة أحد خصال النبوة وجزءٌ منها وأول منازل الوحي، وأن رؤيا الأنبياء وحي وحقٌ صدقٌ، لا أضغاث فيها ولا سبيل للشيطان إليها))[٣].

ومن الرؤيا الصادقة التي وردت في القرآن الكريم رؤياه صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية حيث قال عز وجل: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[٤].

(١) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٣/ ٤ ونسبه لأبي نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة، وذكره الحلبي في السيرة الحلبية ١/ ٢٢٣ .

(٢) بهجة النفوس شرح مختصر صحيح البخاري ١/ ٨، وانظر فتح الباري ١٢/ ٣١١ .

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم ١/ ٤٧٩، ٤٨٠، ونقله أبو شامة في شرح الحديث المقتفى في مبعث النبي المصطفى ٦٦ .

(٤) سورة الفتح الآية (٢٧) .

وفي هذه الرؤيا دلالة على أن الرؤيا النبوية جزء من الوحي والنبوة للرسول صلى الله عليه وسلم، يدل على ذلك ما رواه أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة))[١]، وما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات، قالوا: وما المبشرات ؟ قال: الرؤيا الصالحة»)[٢] .

وينبغي أن يعلم أنه لم ينزل من القرآن شيء عن طريق الرؤيا بالمنام، وما قيل من أن سورة الكوثر نزلت في المنام بدليل حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: ((بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه مبتسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله ! قال: ((أنزلت علي آنفاً سورة)) فقرأ: ((بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾ ﴾))[٣]، فهذا ليس بصحيح فإن هذه الإغفاءة ليست إغفاءة نوم، بل تحمل على التي كانت تعتريه عند نزول الوحي، ويقال لها بُرَحاء الوحي[٤] .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ٦٨ في كتاب التعبير: باب رؤيا الصالحين .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ٦٩ في كتاب التعبير: باب المبشرات .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٣٠٠ حديث رقم ٤٠٠ .

(٤) انظر الإتقان في علوم القرآن ١/ ٨٨، ٨٩ النوع الخامس .

المطلب الثاني: تمثل جبريل في صورته الملكية

من الحالات التي جاء بها جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم اتيانه على صورته الحقيقية التي خلقه الله عز وجل عليها .

وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام مرتين فقط هما:

١- مرة في الأرض .

٢- مرة في السماء .

ودل على المرة الأولى قوله تعالى: ﴿ **عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠** ﴾[١]، أي عَلَّم جبريلُ _ الذي هو شديد القوى _ النبيَّ صلى الله عليه وسلم القرآن بأن استقام جبريل على صورته التي خلقه الله عليها، فظهر في الأفق الأعلى، أي في الجهة العليا من السماء، فسد الأفق عندما جاء بالوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم أول ما جاءه بالوحي عند غار حراء، فكان مقدار ما بين جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم من المسافة قدر قوسين أو أقل منهما، فأوحى جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم ما أوحاه من القرآن في تلك النزلة .

ثم أكد الله عز وجل هذه الرؤية بقوله: ﴿ **مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١**

(١) سورة النجم الآيات (٥ - ١٠) .

﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ ﴾[(١)]، أي: ما أنكر فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم ما رآه من صورة جبريل، وإنما كان فؤاده صادقاً، فكيف تجادلونه وتكذبونه فيما رآه بعينه رؤية مشاهدة محسوسة من صورة جبريل عليه السلام .

ونظير هذا الدليل قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢٣﴾ ﴾[(٢)]، أي: رأى محمد جبريل على صورته الحقيقة في مطلع أو أفق الشمس من قبل المشرق، قال ابن كثير: ((وهي الرؤية الأولى التي كانت بالبطحاء، وهي المذكورة في قوله: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾[(٣)]، والدليل أن المراد بذلك جبريل عليه السلام، أن هذه السورة نزلت قبل ليلة الإسراء))[(٤)] .

ودل على **المرة الثانية** قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ﴿١٥﴾ ﴾[(٥)]، أي: لقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم جبريل نازلاً مرة أخرى – أي غير المرة الأولى التي رآه في الأرض –

---

(١) سورة النجم الآيتان (١١، ١٢) .

(٢) سورة التكوير الآيات (١٩ – ٢٣) .

(٣) سورة النجم الآيات (٥ – ١٠) .

(٤) تفسير ابن كثير ٨/ ٣٣٩ .

(٥) سورة النجم الآيات (١٣ – ١٥) .

على صورته التي خلقه الله عليها وذلك ليلة الإسراء في السماء عند سدرة المنتهى[١] .

ومما جاء في تمثل جبريل في صورته الملكية في هاتين المرتين:

حديث مسروق قال: كنت متكئاً عند عائشة رضي الله عنها، فقلت: ألم يقل الله عز وجل ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴾[٢]، ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾[٣] فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ((إنما هو جبريل، لم أره على صورته التي خُلِق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطاً من السماء إلى الأرض، ساداً عِظَمُ خَلْقِه ما بين السماء إلى الأرض))[٤].

وما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ((رآه بفؤاده مرتين))[٥] .

وما قاله ابن مسعود رضي الله عنه: ((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ير جبريل في صورته إلا مرتين، أما واحدة: فإنه سأله أن يراه في صورته فسد الأفق، وأما الثانية: فإنه كان معه حيث صعد فذلك قوله: ﴿ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾))[٦] .

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٧/ ٤٤٥، والتفسير المنير ٢٧/ ١٠١، ١٠٢ .

(٢) سورة التكوير الآيات (٢٣) .

(٣) سورة النجم الآيات (١٣) .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٥٩ حديث رقم ١٧٧ .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٥٨ حديث رقم ١٧٦ .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير ١٠/ ٣٣١٨، وأورده ابن كثير في تفسيره ٧/ ٤٤٤ .

وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم رؤيته لجبريل عليه السلام لأصحابه رضي الله عنهم، فقال ابن مسعود رضي الله عنه: ((إنه رأى جبريل له ستمائة جناح))[1]، وفي رواية أخرى له ((رأى رفرفاً أخضر سد أفق السماء))[2]، وقالت عائشة رضي الله عنها: ((من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم، ولكن قد رأى جبريل في صورته وخَلْقِه ساداً ما بين الأفق))[3]، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((رأيت جبريل صلى الله عليه وسلم وله ستمائة جناح ينثر من ريشه التهاويل الدر والياقوت))[4] .

وقال جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه - وهو يحدث عن فترة الوحي -: ((بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فرُعبت منه، فرجعت، فقلت: زملوني،زملوني، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ ﴾ فحمي الوحي وتتابع))[5] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٤/ ٨٣ في كتاب: بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم آمين.

(٢) أخرجه البخاري أيضا في صحيحه ٤/ ٨٣، في كتاب: بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم آمين .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٤/ ٨٣، في كتاب: بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم آمين .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ١/ ٤٦٠ وقال عنه ابن كثير: وهذا إسناد جيد قوي . تفسير ابن كثير ٧/ ٤٤٤ .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٤ كتاب: بدء الوحي، باب: كيف بدء الوحي .

المطلب الثالث: تمثل جبريل في صورة بشر

ويقصد به أن جبريل عليه السلام كان ينخلع من صورته الملكية إلى الصورة البشرية، فيوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يوحي، والرسول صلى الله عليه وسلم يعي عنه ما يقول والصحابة يسمعون ذلك الكلام ويفهمونه، وقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن هذه الحالة لما سأله الحارث بن هشام كيف يأتيك الوحي فقال صلى الله عليه وسلم: ((أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليَّ فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول))[1] .

ومن الحالات التي أتى بها جبريل في صورة بشر على النبي صلى الله عليه وسلم:

- **مجيئه على هيئة رجل كما دل عليه:**

حديث عمر رضي الله عنه قال: ((بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه،

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٣ في كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي، ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨١٦ حديث رقم ٢٣٣٣ .

وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً)) قال: صدقت . قال: فعجبنا له، يسأله ويصدقه . قال: فأخبرني عن الإيمان . قال: ((أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)) قال: صدقت .، قال: فأخبرني عن الإحسان . قال: ((أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)) قال: فأخبرني عن الساعة . قال: ((ما المسؤول عنها بأعلم من السائل)) قال: فأخبرني عن أماراتها .

قال: ((أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان))، قال ثم انطلق، فلبثت مليا، ثم قال لي: ((يا عمر أتدري من السائل ؟)) قلت: الله ورسوله أعلم، قال: ((فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم))[1] .

وحديث حارثة بن النعمان قال: مررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه جبريل عليه السلام جالس في المقاعد، فسلمت عليه، ثم أجزت، فلما رجعت وانصرف النبي صلى الله عليه وسلم قال: هل رأيت الذي كان معي، قلت: نعم، قال: فإنه جبريل، وقد رد عليك السلام[2] .

وحديث الحكم عن القاسم أن حارثة بن النعمان أتى النبي صلى الله

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٣٧، ٣٨، وأخرجه البخاري في صحيحه ١/ ١٨ بلفظ آخر في كتاب: الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) الحديث أخرجه أحمد بن حنبل في المسند ٥/ ٤٣٣، وقال عنه ابن حجر: إسناده صحيح. الإصابة ٢/ ١٩٠ .

عليه وسلم وهو يناجي رجلاً، فجلس ولم يسلم، فقال جبرائيل: أما إنه لو سلم لرددنا عليه، فقال لجبرائيل: وهل تعرفه ؟ فقال: نعم، هذا من الثمانين الذي صبروا يوم حنين، رزقهم ورزق أولادهم على الجنة(١).

- **مجيئه في صورة الصحابي الجليل دحية الكلبي(٢)، كما دل عليه:**

حديث ابن عمر رضي الله عنهما: كان جبريل يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي(٣) .

وحديث أبي عثمان عن سلمان قال: ((أنبئت أن جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أم سلمة، فجعل يتحدث، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأم سلمة من هذا ؟ _ أو كما قال _ قالت: هذا دِحْية، فلما قام قالت: والله ما حسبته إلا إياه، حتى سمعت خُطبة النبي صلى الله عليه وسلم يخبر خبر جبريل – أو كما قال – قال أبي: قلت لأبي عثمان: ممن سمعت هذا ؟ قال: من أسامة بن زيد))(٤) . والمقصود: أن أم سلمة رأت جبريل في صورة دحية الكلبي .

---

(١) ذكره ابن حجر في الإصابة ٢/ ١٩٠ وعزاه لابن شاهين طريق المسعودي .

(٢) دحية بن خليفة بن فروة الكلبي صحابي مشهور، كان يضرب به المثل في حسن الصورة، وكان جبريل ينزل على صورته، بقي إلى خلافة معاوية رضي الله عنه، انظر الإصابة ٣/ ١٩١ .

(٣) ذكره ابن حجر في الإصابة وعزاه إلى النسائي ٣/ ١٩١، كما ذكره السيوطي في الخصائص الكبرى ١/ ٣٠٠ عزاه أيضاً إلى ابن سعد.

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٩٦، ٩٧ في كتاب: فضائل القرآن، باب: كيف نزول الوحي، ومسلم في صحيحه ٤/ ١٩٠٦ رقم ٢٤٥١ .

وحديث أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: كان جبريل يأتيني على صورة دحية الكلبي وكان دحية رجلاً جميلاً[(١)] .

وتمثل جبريل بصورة رجل هي حالة وقتية مراعاة لحال من يرسل إليه. قال ابن حجر: ((والحق أن تمثل الملك رجلاً ليس معناه أن ذاته انقلبت رجلاً، بل معناه أنه ظهر بتلك الصورة تأنيساً لمن يخاطبه))[(٢)] .

(١) ذكره السيوطي في الخصائص الكبرى ١/ ٣٠٠ وعزاه إلى الطبراني .

(٢) فتح الباري ١/ ٢٠ .

المطلب الرابع: النفث في روع النبي صلى الله عليه وسلم

ويقصد به إلقاء الله المعنى في قلب النبي صلى الله عليه وسلم يقظة من غير مواجهة بين الملك والرسول مع خلق علم ضروري عند النبي صلى الله عليه وسلم بأن هذا المعنى قد قذفه الله قطعاً، ولا يستطيع له دفعاً، ولا يجد فيه شكا[١]. وجاءت الإشارة إليه في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا وَحْيًا ﴾ في آية الشورى ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[٢]، وما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن روح القدس نفث في رُوعي: إن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب))[٣] قال أبو عبيد في معنى النفث: ((نفث في رُوعي: هو كالنفث بالفم شبيه بالنفخ، فأما التفل فلا يكون إلا ومعه شيء من الريق)) وقال أيضا في معنى ((رُوعي)): ((معناه كقولك في خلدي ونفسي ونحو ذلك فهذا بضم الراء، وأما الرَّوع _ بالفتح _ فالفزع، وليس من هذا في شيء))[٤] .

(١) انظر روح المعاني للآلوسي ٢٧/ ٥٠، ووحي الله للدكتور حسن ضياء الدين عتر ٩٥ .

(٢) سورة الشورى الآية (٥١) .

(٣) الحديث أخرجه أبو عبيد في غريب الحديث ١/ ١٧٩، والحاكم في المستدرك ٢/ ٤ عن ابن مسعود .

(٤) غريب الحديث لأبي عبيد ١/ ١٨٠، وانظر النهاية في غريب الحديث ٥/ ٨٨ .

وفي هـذه الحالـة فـإن الرسـول ﷺ يحـس أن معنـى جديـداً لم يـسبق حدوثه له قد وعاه قلبه وعقله، مع عدم المواجهة بين الملك والرسـول ﷺ، فهو لا يـرى الملك ولا يـسمع صـوت الـوحي، وإنـما يجد تلـك المعـارف في نفسه، ويعلم أن الملك نفثها في رُوعه، وقد عبر عنها بعض الباحثين بأنه ﷺ يتلقى عرفانا يقيناً بغير صوت[(١)] .

وعلى العموم فإن الوحي بجميع أنواعه يصحبه علـم يقيني ضروري من النبي ﷺ بأن ما ألقي عليه حق من عند الله، لـيس مـن خطـرات الـنفس ولا من وسوسة الشيطان، وهذا العلم اليقيني لا يحتـاج إلى مقـدمات، وإنـما هو من قبيل إدراك الأمور الوجدانية كالجوع والعطش[(٢)] .

وهذه الأدلة التي تحدث عنها النبي ﷺ ورواهـا أصـحابه رضـوان الله عليهم لأدلة قاطعة تنفي التوهم بأن الـوحي شيء متكلف مصنوع، أو أنه أمر تحضيري يُستجمع له الفكـر والرويـة، بـل هـذه الهيئـات ومـا يـصاحبها مـن مظاهر تظهر عليه ﷺ ويراها أصحابه رضـوان الله علـيهم، لتثبـت يقينـاً أن الـوحي إلى النبي ﷺ أمر سوي لا اعتلال معه، إلزامي لا اختيار له فيه، وأنه تلقـين مـن الله العزيـز الحكـيم بقـوة وقـدرة، وهيمنـة وسـيطرة، وحكمـة ورحمة[(٣)] .

---

(١) انظر: الوحي ودلالاته في القرآن الكريم والفكر الإسلامي ١٤٣ وتـاريخ القـرآن لمحمـد حسين الصغير ٣٥ .

(٢) انظر المدخل لدراسة القرآن الكريم ٨٧ .

(٣) انظر وحي الله ١١٠، وعلوم القرآن ١٩ – ٢١ .

المبحث الرابع

مظاهر الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: المشقة في التلقي.

المطلب الثاني: سماع دوي كدوي النحل

المطلب الثالث: ثقل جسم الرسول صلى الله عليه وسلم

المطلب الرابع: بروك الناقة إذا نزل عليه الوحي وهو عليها

توطئة:

إن نزول الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم يلازمه مظاهر وآثار متنوعة يغلب عليها الشدة والقوة، لما في نزوله من مخالفة لما جرت عليه العادة البشرية، قال ابن حجر: ((معاناة التعب والكرب عند نزول الوحي لما فيه من مخالفة العادة، وهو كثرة العرق في شدة البرد، فإنه يشعر بوجود أمر طاريء على الطباع البشرية))[1] .

وإن مما يصاحب مجيء جبريل عليه السلام صلصلة وهو صوت أشبه بصوت الجرس غير معهود له صلى الله عليه وسلم، مما ينبه على أهمية المرسل وما جاء به من أمر عظيم يحتاج إلى تفريغ القلب عن كل شيء، روت عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليّ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول)) قالت عائشة رضي الله عنها: ((ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا))[2] .

وسأل عبدالله بن عمرو بن العاص رسول الله صلى الله عليه وسلم عن

---

(١) فتح الباري ١/ ٢٠ .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٢، ٣ في كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي.ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨١٦ رقم الحديث ٢٣٣٣، فيفصم: أي يُقلع، ويتفصد: أي يرشح عرقاً .

الوحي قائلاً: ((سألت النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله هل تحس بالوحي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم، أسمع صلاصل ثم أسكت عند ذلك، فما من مرة يوحى إليّ إلا ظننت أن نفسي تفيض))[1] .

ومن مظاهر الوحي المحسوسة على الرسول صلى الله عليه وسلم ما نقله لنا الصحابة رضوان الله عليهم، وهي آثار كثيرة جمعتها في أربعة أنواع وسأتناولها في المطالب التالية:

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢/ ٢٢٢ .

المطلب الأول: المـشـقـة في الـتـلـقـي

لاقى النبي صلى الله عليه وسلم من التنزيل شدة ومشقة ومما دل على ذلك:

- قوله تعالى: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾[1] أي: ثقيل وقت نزوله من عظمته[2]، قال ابن عباس: شديداً[3] .
- قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ و ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴾ فالخطاب فيهما للنبي صلى الله عليه وسلم بوصف حاله التي كان عليها حين خطابه، ومعنى (المدثر) أي: الذي يدثر في ثيابه يستدفيء بها، و(المزمل) أي: المتزمل في ثيابه المتلفف فيها، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يدثر ويتزمل في ثيابه أول ما جاءه جبريل خوفاً وفزعاً منه . قال ابن عقيلة: ((وذلك لشدة الوحي وعظم الخطاب))[4] .
- حديث جابر بن عبدالله أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي، فبينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري قِبَل السماء، فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض فجَئِثْتُ[5] منه حتى هويت إلى الأرض، فجئت أهلي

---

(١) سورة المزمل الآية (٥) .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٨/ ٢٥١ .

(٣) انظر تفسير البغوي ٤/ ٤٠٨، وتفسير الخازن ٧/ ١٦٦، وتفسير الرازي ٣٠/ ١٧٤ .

(٤) الزيادة والإحسان ١/ ١٣٩ .

(٥) هكذا في هذه الرواية، وفي رواية ((فرعبت)) وقيل في معناها: سقطت على وجهي، وقال أهل اللغة: جثت الرجل فهو مجوث إذا فزع، انظر فتح الباري ٨/ ٥٥٥ .

فقلت: زملوني زملوني، فزملوني، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥ ﴾(١) - قال أبو سلمة: والرجز: الأوثان - ثم حمي الوحي وتتابع))(٢) .

- حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال: ((كان نبي الله صلى الله عليه وسلم إذا أُنْزِل عليه الوحي كُرِبَ لذلك، وتَرَبَّد وجهه))(٣) .
- وحديثه الآخر رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه الوحي نكس رأسه، ونكس أصحابُهُ رُؤسهم، فلما أُتلي عنه رفع رأسه(٤) .
- حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أملى عليه ﴿ لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ فجاءه ابن أم مكتوم، وهو يُمِلُّها عليَّ، قال يا رسول الله لو أستطيع الجهاد لجاهدت، وكان أعمى فأنزل الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذي فثقلت عليّ حتى خفتُ أن ترضَّ فخذي، ثم سُرِّي عنه، فأنزل الله ﴿ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ ﴾(٥) .

---

(١) سورة المدثر الآيات (١ - ٥) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٧٥، ٧٦ في كتاب: التفسير، باب: سورة المدثر .

(٣) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨١٧ رقم الحديث ٢٣٣٤، ومعنى كرب: أي أصابه الكرب . وتربد: أي تغير وصار كلون الرماد .

(٤) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨١٧ رقم الحديث ٢٣٣٥، وأتلي عنه: أي ارتفع عنه الوحي.

(٥) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ٥/ ١٨٢ في كتاب التفسير، باب: كيف كان بدء الوحي .

- حديث عائشة رضي الله عنها في بدء نزول الوحي عندما نزل عليه صلى الله عليه وسلم صدر سورة اقرأ، ومما جاء فيه قوله صلى الله علية وسلم ((فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد)) ولما ذهب إلى خديجة رضي الله عنها يحدثها عما حصل له وهو يرجف فؤاده قال لها: زملوني . . زملوني)) فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة بعد أن أخبرها الخبر: ((لقد خشيت على نفسي))[١] .
- حديث صفوان بن يعلى بن أمية أن يعلى كان يقول: ليتني أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يُنْزَل عليه الوحي، فلما كان النبي صلى الله عليه وسلم بالجعرانة، وعليه ثوب قد أظل عليه ومعه ناس من أصحابه، إذ جاءه رجل متضمخ[٢] بطيب فقال: يا رسول الله، كيف ترى في رجل أحرم في جُبَّة بعدما تَضَمَّخ بطيب ؟ فنظر النبي صلى الله عليه وسلم ساعة، فجاءه الوحي، فأشار عمر إلى يعلى أن تعال، فجاء يعلى فأدخل رأسه فإذا هو مُحْمَرُّ الوجه يَغُطَّ[٣] كذلك ساعة، ثم سُرِّي عنه[٤]، فقال: أين الذي يسألني عن العمرة آنفا ؟ فالتُمِس الرجل، فجيء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أما الطيب الذي بك

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٣ في كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي .

(٢) التضمخ: التلطخ بالطيب والإكثار منه . النهاية ٣/ ٩٩ .

(٣) الغط: الصوت الذي يخرج مع نفس النائم أو المغمى عليه . النهاية ٣/ ٣٧٢ .

(٤) سري عنه: زال عنه ما اعتراه تدريجياً .

فاغسله ثلاث مرات،وأما الجبة فانزِعْها عنك، ثم اصنع في عمرتك كما تصنع في حجك))[(١)] .

- حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه، فقال ابن عباس: فأنا أحركهما لك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما، وقال سعيد: أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما فحرك شفتيه فأنزل الله: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾[(٢)] .

- حديث عبيد بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((. . . فجاءني جبريل وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب، فقال: اقرأ،قال: قلت: ما أقرأ ؟ قال: فغتَّني به حتى ظننتُ أنه الموت . . .))[(٣)] .

وهكذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يلاقي من التنزيل شدة ويظهر ذلك عليه صلى الله عليه وسلم في نفسه، وجسمه، وقوله .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٩٧ في كتاب: فضائل القرآن، باب: نزل القرآن بلسان قريش .

(٢) سورة القيامة الآيتان (١٦، ١٧) .

(٣) أخرجه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام ١/ ٢٧٣، والطبري في تاريخه ٢/ ١٣، والنمط: رعاء كالسفط، وغتني: الغت: حبس النفس .

المطلب الثاني: سـمـاع دوي كـدوي الـنـحـل

ومن مظاهر وآثار الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا نزل عليه الوحي سمع عند وجهه دويٌّ كدوي النحل، فعن عبدالرحمن ابن عَبْدٍ القارِّيِّ، قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: كان إذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي يُسْمَعُ عند وجهه دوي كدوي النحل، فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه فقال: اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا، ثم قال: ((لقد أنزلت عليّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة))، ثم قرأ علينا: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ﴾[(١)] [(٢)].

---

(١) سورة المؤمنون الآيات (١ - ١٠) .

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١/ ٣٤، والترمذي في سننه ٥/ ٣٢٦ في كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة المؤمنون، والنسائي في سننه الكبرى ١/ ٤٥٠، والحاكم في المستدرك ١/ ٥٣٥، وصححه ووافقه الذهبي .

المطلب الثالث: ثقل جسم الرسول صلى الله عليه وسلم

وكان مما يصاحب مجيء الوحي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وتلقيه عنه، ثقل جسمه صلى الله عليه وسلم حتى يكاد يَرِضُّ فَخِذُه فخذَ الجالس إلى جنبه، ثبت عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أملى عليه ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[١]، فجاءه ابن أم مكتوم وهو يُمِلُّها عليّ، قال: يا رسول الله، والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت _ وكان أعمى _ فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم وفَخِذُه على فَخِذي، فثقلت عليَّ حتى خفتُ أن ترضّ فخذي، ثم سُرِّيَ عنه، فأنزل الله ﴿ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ ﴾[٢].

وقال زيد بن ثابت رضي الله عنه: ((كنت أكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان إذا نزل عليه أخذته بُرَحَاء شديدة، وعَرِق عرقاً شديداً مثل الجُمَان، ثم سُرِّي عنه، فكنتُ أدخل عليه بقطعة الكتف، أو كسرة، فأكتب، وهو يُمْلي عليّ، فما أفرغ حتى تكاد رجلي تنكسر من ثقل القرآن، وحتى أقول: لا أمشي على رجلي أبداً، فإذا فرغت، قال: اقرأه، فأقرأه، فإن كان فيه سقط أقامه، ثم أخرج به إلى الناس))[٣] .

---

(١) سورة النساء الآية (٩٥) .

(٢) الحديث سبق تخريجه وهو في صحيح البخاري ٥/ ١٨٢، وأحمد في مسنده ٥/ ١٨٤، وأبو داود في سننه ٢/ ١٤ في كتاب: الجهاد، باب: في الرخصة في القعود من العذر .

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٢/ ٥٤٤، والبرحاء: شدة الحمى، والجمان: اللؤلؤ .

وما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ((كان صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي ثقل عليه وتربَّد له جلده))(١) .

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف ٦/ ٢٤٢، وأخرجه بنحوه البخاري عن عبادة بن الصامت وقد مَرّ في المطلب الثاني .

المطلب الرابع: بروك الناقة إذا نزل عليه الوحي وهو عليها

ومن مظاهر وآثار نزول الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم أنه إذا نزل عليه وهو على ناقته صلى الله عليه وسلم بركت ناقته وهوت إلى الأرض من ثقل ما يوحى إليه، وقد وصف لنا الصحابة رضوان الله عليهم مشاهدتهم لذلك:

- قالت عائشة رضي الله عنها: ((إن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أوحي إليه وهو على ناقته وضعت جرانها، فلم تستطع أن تتحرك وتلت قول الله تعالى: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾[1] [2] .
وفي رواية: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أوحي إليه وهو على ناقته لا تستطيع أن تتحول حتى سرى عنه))[3].
- وقالت عائشة رضي الله عنها: ((إن كان ليوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على راحلته فتضرب بجرانها))[4] .
- وقال عروة بن الزبير ((إن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أوحي إليه وهو على ناقته وضعت جرانها، فما تستطيع أن تحرك حتى يُسَرَّى

---

(١) سورة المزمل الآية (٥) .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٥٤٩ وصححه ووافقه الذهبي، والجران: باطن العنق.

(٣) أخرجه ابن راهويه في مسنده ٢/ ٢٥٤ .

(٤) الحديث أخرجه أحمد في مسنده ٦/ ١١٨، والحاكم في المستدرك ٢/ ٥٠٥، والهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٦٠ وقال عنه: رجاله رجال الصحيح .

عنه))[1] .

- كما حدثت أم عمرو بنت عبس عن عمها أنه كان في مسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت عليه سورة المائدة فاندق كتف راحلته العضباء من ثقل السورة))[2] .
- وقال أبو أروى الدوسي: رأيت الوحي ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم وإنه على راحلته فترغو وتفتل يديها، حتى أظن أن ذراعها تنقصم، فربما بركت، وربما قامت مُوَتَّدَة يديها، حتى يُسَرّى عنه من ثقل الوحي، وإنه ليتحدر منه مثل الجمان))[3] .

إذن فآثار الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم يمتد تأثيرها إلى ما يتصل بالرسول صلى الله عليه وسلم أو يلامسه من بشر أو دابة فصلى الله على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فقد عانى من حوله فكيف به صلوات ربي وسلامه عليه .

ويمكن أن نستجلي من هذه الآثار دلائل ومعان أوجزها في الآتي:

- أن المُلْقى بهذه الكيفية وهذه الحال سينغرس في نفس الملقى عليه، وينتقش في قلبه نقشاً، لما في لحظات الإلقاء وما يصاحبها من أحوال لا

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره ٢٩/ ١٢٧، وابن كثير في تفسيره ٨/ ٢٥١، وأورده الشوكاني في فتح القدير ٥/ ٤٥٥ وقال عنه: ثابت .

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٢/ ٢٥٢ .

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ١/ ١٥٥، فترغو: أي صوتت فضجت، قال ابن منظور: ((وهذا دأب الإبل عند رفع الأحمال عليها))، وتفتل يديها: أي تلويها . لسان العرب ١٤/ ٣٢٩ مادة ((رغا))، ١١/ ٥١٤ مادة ((فتل)) .

يمكن نسيانها أو تفلت شيء منها .

- أن المقدمات التي تصاحب هذا المجيء تجعل النفس تطمئن للمُلقي وتدفع التوهم أن يكون غيره .
- عظم شأن المُلْقى وأهميته وأنه ليس ككل كلام، فهو كلام الجبار العظيم المتعال عز وجل، فالكلام له هيبته وإجلاله، التي ينبغي أن تصاحب أيضا المتلقي والمتقدم لحفظه وتلاوته .

المبحث الخامس
حال الصحابة عند نزول الوحي

لقد كان لنزول الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم حالات كثيرة وهو بلا شك غير مرتبط بإرادته ورغبته، أو مكان وجوده وعلى أي حال هو، بل ربما يكون في بيته فينهض والبِشْر على مُحياه وقد نزلت عليه سورة، كما في نزول سورة الكوثر، ومن القرآن ما نزل في هزيع الليل كآية التوبة على الثلاثة الذين خلفوا وهي قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1] حيث نزلت وقد بقي من الليل ثلثه وصلى الله عليه وسلم عند أم سلمة رضي الله عنها[2]، وآية ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[3] فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم في خيمته والحرس حوله، فأخرج الرسول صلى الله عليه وسلم رأسه من الخيمة فقال: ((يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله))[4] .

---

(١) سورة التوبة الآية (١١٨) .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ٥/ ٢٠٨ في كتاب: التفسير، باب: سورة التوبة، ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٢٠ حديث رقم ٢٧٦٩ .

(٣) سورة المائدة الآية (٦٧) .

(٤) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٣١٣ وقال عنه صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وانظر البرهان في علوم القرآن ١/ ١٩٨ .

ومن هنا كثرت أحوال نزول القرآن وبحسب أوقات نزوله، فمنه السفري والحضري، ومنه الليلي والنهاري، ومنه ما نزل مشيعاً[(١)] .

وكانت هذه الأحوال معروفة لدى الصحابة رضوان الله عليهم، وقد أحس كثير منهم بنزول الوحي ورأوا مظاهره رأي العين وتلقوا ثمرته وهو هذا القرآن العظيم الذي تلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظه عنه صحابته رضوان الله عليهم وكتبوه وعلموه من جاء بعدهم[(٢)] .

فهذه عائشة رضي الله عنها تقول: ((ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، وإن جبينه ليتفصد عرقاً))[(٣)] .

كما وصفت حاله وقد تنزل عليه الوحي في بيتها قائلة: ((فو الله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أُنزل عليه . فأخذه ما كان يأخذه من البُرَحاء، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجُمان من العرق، وهو في يوم شاتٍ من ثقل القول الذي ينزل عليه ...))[(٤)] .

ويمكن أن أوجز حال الصحابة عند نزول الوحي من خلال ما اطلعت عليه من آثار عنهم بالآتي:

١ - أدبهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم عند مجيء الوحي له، فإذا جاء

---

(١) انظر علوم القرآن لنور الدين عتر ٢٤ .

(٢) انظر محاضرات في علوم القرآن للقدوري ٢٦ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٣ في كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٩ في كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة النور، ومعنى (رام) فارق، (البرحاء) شدة الحمى، (الجمان) اللؤلؤ .

فليس لأحد أن يرفع طرفه إلى النبي صلى الله عليه وسلم حتى ينقضي الوحي، روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال: ((وكان إذا جاء الوحي لا يخفى علينا، فإذا جاء فليس أحد يرفع طرفه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ينقضي الوحي))[(١)]

٢- نزول السكينة والاطمئنان في قلوب الصحابة واستقرار إيمانهم وزيادة محبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ومما ورد في ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما يقول: ((بينما رسول الله بفناء بيته بمكة جالس، إذ مر به عثمان بن مظعون فكشر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا تجلس ؟ قال: بلى، قال فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مستقبله، فبينما هو يحدثه، إذ شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم ببصره إلى السماء، فأخذ يضع بصره حتى وضعه على يمينه في الأرض، فتحرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جليسه عثمان إلى حيث وضع بصره، وأخذ ينفض رأسه كأنه يستفقه ما يقال له،وابن مظعون ينظر، فلما قضى حاجته، واستفقه ما يقال له، شخص بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء كما شخص أول مرة، فأتبعه بصره حتى توارى في السماء، فأقبل إلى عثمان بجلسته الأولى، قال: يا محمد فيم كنت أجالسك وآتيك ما رأيتك تفعل كفعلك الغداة، قال: وما رأيتني فعلت ؟ قال: رأيتك

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه ٣/ ١٤٠٦، رقم الحديث ١٧٨٠، وأحمد في مسنده ٢/ ٥٣٨.

تشخص ببصرك إلى السماء، ثم وضعته حيث وضعته على يمينك فتحركت إليه، وتركتني، فأخذت تنفض رأسك كأنك تستفقه شيئاً يقال لك، قال: وفطنت لذلك ؟ قال عثمان: نعم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتاني رسول الله آنفا، وأنت جالس، قال: رسول الله ؟ قال: نعم، قال: فما قال لك ؟ قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[١]، قال عثمان فذلك حين استقر الإيمان في قلبي وأحببت محمداً))[٢] .

وأيضا ما قاله عتيبة بن عتيبة التميمي الذي شهد حنينا مع المشركين، فلما رأى المسلمين انفضوا عن النبي صلى الله عليه وسلم، ثم نُصِر برغم ذلك علم أنه جبريل عليه السلام النازل بإذن الله بالنصر فثمّ أعلن إسلامه:

فضاربوا الناس حتى لم يروا أحداً حول النبي إلى أن جَنَّهُ الغسق
ثمة نزل جبريل ينصرهم من السماء فمهزوم ومعتنق
منا ولو غير جبريل يقاتلنا لمنعتنا إذن أسيافنا العُتُق[٣] .

٣- رؤيتهم أو اعتيادهم لبعض العلامات الحسية المصاحبة لمجيء الوحي، ومن ذلك:

---

(١) سورة النحل الآية (٩٠) .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١/ ٣١٨ .

(٣) انظر تلقي النبي صلى الله عليه وسلم ألفاظ القرآن الكريم ٨١ .

- ما جاء عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ من الأحزاب دخل المغتسل ليغتسل، فجاء جبريل عليه السلام فقال: أَوَقد وضعتم السلاح ؟ ما وضعنا أسلحتنا بعد، انهد إلى بني قريظة، فقالت عائشة رضي الله عنها: كأني أنظر إلى جبريل عليه السلام من خلل الباب قد عصب رأسه من الغبار))[1] .
- وما جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كأني أنظر إلى غبار ساطع في سكة بني غَنْم موكب جبريل[2] .
- وما جاء عن أبي ذر رضي الله عنه قال: ((كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فلما أبصر _ يعني أُحُداً _ قال: ((ما أُحِبُّ أنه يُحَوَّل لي ذهباً يمكث عندي منه دينار فوق ثلاث إلا ديناراً أرصده لِدَيْنٍ، ثم قال: إن الأكثرين هم الأقلون إلا من قال بالمال هكذا وهكذا – وأشار أبو شهاب – أحد رواة الحديث بين يديه وعن يمينه وعن شماله، وقليل ما هم . وقال: ((مكانك)) وتقدم غير بعيد، فسمعت صوتاً، فأردت أن آتيهُ، ثم ذكرتُ قوله: ((مكانك حتى آتيك)) فلما جاء، قلت: يا رسول الله، الذي سمعت، أو قال: الصوت الذي سمعت، قال: ((وهل سمعتَ ؟)) قلت: نعم، قال: ((أتاني جبريل عليه الصلاة والسلام فقال : من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئا

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٦/ ١٣١ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٤/ ٨٠ في كتاب: بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة .

دخل الجنة، قلت: وإن فعل كذا وكذا ؟ قال: نعم))[١] .

٤- وصفهم لحال الرسول صلى الله عليه وسلم حين ينزل عليه الوحي ومن ذلك ما ورد في الروايات السابقة من العبارات التي تدل على ذلك ومنها ((برحاء الوحي))، ((فيفصم عنه))، ((يتفصد عرقا))، ((كُرِب لذلك))، ((تَرَبَّد وجهه))، ((مُحْمَّر الوجه))، ((يغط))، ((يرجف فؤاده)) .

٥- عدم إمكان رؤيتهم لجبريل بصورته الحقيقة، فلم يثبت ذلك، وإنما يمكن أن يروه إذا تمثل لهم بصورة بشر، قال النووي في تعليقه على حديث أم سلمة رضي الله عنها حيث رأت جبريل على صورة دحية الكلبي: ((فيه جواز رؤية البشر الملائكة، ووقوع ذلك على صورة الآدميين، لأنهم لا يقدرون على رؤيتهم على صورهم))[٢] .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٣/ ٨٢ في كتاب: الاستقراض، باب: أداء الديون .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/ ٨ .

المبحث السادس
قطعية الوحي ودلالاتها

مما لا شك فيه أن الوحي المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقاه من جبريل عليه السلام الذي أخذه من الله عز وجل مباشرة كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾[(١)] فَوَصْفُ المُلْقي بالحكمة والعلم فيه دلالة على قطعية المُلْقى[(٢)].

وقد وصف الله عز وجل هيئة مجيء جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله علية وسلم عند بدء إبلاغه الوحي القرآني وصفاً دقيقاً قاطعاً، وتمثل ذلك في سورة النجم، التي بدأت بتنزيه الرسول صلى الله عليه وسلم عن الضلال في علمه والغي في قصده، وأنه صاحب لقومه معروف عندهم بالصدق والهداية والأمانة ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾[(٣)]، وأن ما ينطق به ليس صادراً عن هوى نفسه ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾[(٤)]، وأن ما أتى به ما هو إلا وحي أوحاه الله إليه ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[(٥)]، ثم وصف هذا الملك الذي

---

(١) سورة النمل الآية (٦) .

(٢) ورد للمفسرين قولان في عود الضمير فمنهم من قال: إنه يعود إلى الله عز وجل، ومنهم من قال: إنه يعود إلى جبريل عليه السلام . انظر: تفسير ابن كثير ٦/ ١٧٨، وروح المعاني ١٩/ ١٥٨، والتحرير والتنوير ١٩/ ٢٢٣ .

(٣) سورة النجم الآية (٢) .

(٤) سورة النجم الآية (٣) .

(٥) سورة النجم الآية (٤) .

جاء بالوحي بأوصاف دقيقة تدل على مكانته وقوته ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ ﴾(١)، ثم بين كيفية مجيئه الأول على هيئته التي خلقه الله عليها مبتدئاً بأول القرآن الكريم نزولاً ﴿ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾(٢)، ثم اقترب جبريل من النبي صلى الله عليه وسلم لإيصال الوحي إليه ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ ﴾(٣) مما يدل على كمال مباشرته للرسول صلى الله عليه وسلم، وأنه لا واسطة بينه وبين جبريل عليه السلام، ثم باشر مهمته ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾(٤) .

ثم أكد هذا الإلتقاء وصَدَّقه، وأنه لا شك فيه ولا شبهه ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾(٥) (٦)، ثم يُلقي ملك الوحي القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم كما أمره الله أن يقرأه، وأن على النبي صلى الله عليه وسلم أن يطرق سمعه ولا يحرك لسانه حتى ينتهي جبريل من قراءته عليه ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾(٧)، وأن الله تكفل بحفظه وجمعه في صدرك ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ

(١) سورة النجم الآيتان (٥، ٦) .
(٢) سورة النجم الآية (٧) .
(٣) سورة النجم الآيتان (٨، ٩) .
(٤) سورة النجم الآية (١٠) .
(٥) سورة النجم الآية (١١) .
(٦) انظر تفسير السعدي ٧٦٠ .
(٧) سورة القيامة الآية (١٦) .

﴿ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾[1] .

ثم أكد الله بأن ما قرأه جبريل عليه السلام هو اللفظ الذي أراد الله أن يقرأه، ولذلك نسب الله تعالى الفعل إلى ذاته العلية ﴿ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ ﴾[2]، ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم باتباع ما يقرأه جبريل عليه السلام ﴿ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ﴾[3] .

كما أمر الله عز وجل محمداً صلى الله عليه وسلم بعدم العجلة بتلقف القرآن حين يتلوه عليه جبريل، وأمره بالصبر حتى يفرغ من إلقائه جبريل عليه السلام ﴿ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ ﴾[4]، وهنا أسند الوحي إلى الله عز وجل مما يدل على أن الوحي منه قطعاً .

والقرآن الكريم مليء بالآيات الكريمة التي تبين أن القرآن الكريم من عند الله، وأنه وحي أوحاه الله إلى رسوله صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ

---

(١) سورة القيامة الآية (١٧) .

(٢) سورة القيامة الآية (١٨) .

(٣) سورة القيامة الآية (١٨) .

(٤) سورة طه الآية (١١٤) .

(٥) سورة الاحقاف الآية (٩) .

وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴾[1].

كما يبين أن الرسول صلى الله عليه وسلم ليس له في القرآن من عمل إلا الحفظ والتبليغ، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥﴾ قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[2].

كما أكدت آيات القرآن الكريم على أن الله هو الذي أنزل القرآن على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، كما في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا ﴾[5].

وفي الأحاديث الشريفة توكيد لهذا، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقرر أن هذا القرآن الذي يتلوه على الناس ليس من تأليفه إنما هو كلام الله

---

(١) سورة النساء الآية (١٦٣).

(٢) سورة يونس الآيتان (١٥، ١٦).

(٣) سورة آل عمران الآيتان (٢، ٣).

(٤) سورة المائدة الآية (٤٨).

(٥) سورة الإنسان الآية (٢٣).

تعالى، روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة))[1]، وقال صلى الله عليه وسلم: ((ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه))[2]، ويعني بالكتاب القرآن الكريم ومثله يعني السنة .

ومن الدلالات على قطعية القرآن الكريم:

١- الحفظ الإلهي لألفاظ القرآن الكريم، فقد تكفل الله عز وجل بالحفظ المطلق للقرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[3]، وهذا الحفظ للقرآن الكريم جاء تصريحاً لا تلويحا، ثم جاء التصريح بنزوله على قلب النبي صلى الله عليه وسلم وبلسان عربي مبين ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾[4] مما يدل على نزوله بألفاظه وكلماته، قال الزمخشري: ((ولو كان أعجمياً لكان نازلاً على سمعك دون قلبك، لأنك تسمع أجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها))[5] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٩٧ في كتاب: فضائل القرآن، باب: كيف نزول الوحي، ومسلم في صحيحه ١/ ١٣٤ .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ٢/ ٦١٠ حديث رقم ٤٦٠٤، وأحمد في مسنده ٤/ ١٣١ .

(٣) سورة الحجر الآية (٩) .

(٤) سورة الشعراء الآيات (١٩٢ - ١٩٥) .

(٥) الكشاف ٤/ ٤١٥ .

وقال ابن عطية: ((وقوله تعالى: ﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ إشارة إلى حفظه إياه، وعلل النزول على قلبه بكونه من المنذرين، لأنه لا يمكن أن ينذر به إلا بعد حفظه[١] .

وقال أبو حيان: ((وخص القلب، والمعنى عليك، لأنه محل الوعي والتثبيت، وليعلم أن المنزل على قلبه عليه السلام محفوظ، لا يجوز عليه التبديل ولا التغيير))[٢] .

٢- إثبات حفظه وفهمه وتثبيته في قلب النبي صلى الله عليه وسلم، فقد بشر الله عز وجل نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بأنه سيقرئه القرآن ولا ينساه، فقال عز وجل: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾[٤] .

كما أن قراءته صلى الله عليه وسلم له بفضل الله وقوته، كما قال عز وجل: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾[٥]، قال ابن حجر: ((لا تقرؤه بقوتك ولا بمعرفتك، لكن بحول ربك وإعانته))[٦] .

٣- تلقي الوحي تلقي استماع لصوت متكلم بأحرف وتتابع لكلمات على

---

(١) المحرر الوجيز ١١/ ١٤٨ .

(٢) البحر المحيط ٨/ ١٨٨ .

(٣) سورة الأعلى الآية (٦) .

(٤) سورة القيامة الآية (١٧) .

(٥) سورة العلق الآية (١) .

(٦) فتح البري ١/ ٢٢ .

هيئة التعليم، فتصل ألفاظه ومعانيه إلى قلبه صلى الله عليه وسلم بعد سماعه، ومما دل على ذلك، قوله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾[1]، وقوله: ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾[2]، وقوله: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾[3]، وورد في بعض ألفاظ الأحاديث والآثار التي سبق إيرادها في هذا البحث ((فيعلمني)) و ((فيكلمني)) . . .

٤- مدارسة جبريل عليه السلام الرسول صلى الله عليه وسلم ما نزل عليه من القرآن في شهر رمضان من كل عام، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ((كان رسول الله أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان، فيدارسه القرآن، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة))[4].

فهذه المدارسة ثمرة لتمكين حفظ النبي صلى الله عليه وسلم القرآن حفظاً لا حظ للنسيان فيه .

(١) سورة القيامة الآيات (١٦ – ١٩) .

(٢) سورة طه الآية (١١٤) .

(٣) سورة النجم الآية (٥) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ١ / ٤ في كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي.

الفصل الرابع

أصول الشبه حول الوحي وأثرها على المعاصرين

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أصول الشبه حول الوحي

المبحث الثاني: أثر أصول الشبه على المعاصرين .

المبحث الثالث: موقف القرآن الكريم من هذه الشبهات.

توطئة:

إن سنة الله تعالى جرت على أن يؤيد الله تعالى كل رسول من رسله بمعجزة خارقة للعادة، وخارجة عن حدود المألوف للناس، حتى يحمل المعاندين المكابرين على الإيمان بهم، والإذعان لهم، وكانت معجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: القرآن الكريم، وهي من جنس ما برع فيه قومه وهم العرب، وتحداهم به فعجزوا أن يعارضوه حتى في أقصر سورة منه مع توفر دواعيهم لمعارضته، فقد كانوا فرسان البلاغة وأمراء البيان والفصاحة، فما كان منهم إلا أن أثاروا الشبه والتشكيك فيه وفي مصدره، وقد جاء في القرآن الكريم التوضيح الشافي لتلك المزاعم وما ادعوه بهتانا وكذباً نحو القرآن تارة، ومصدره تارة أخرى، والرسول تارة ثالثة، وإن ما حصل من مشركي العرب ورَدِّ القرآن عليهم هو أساس ما أثاره المستشرقون ومن تأثر بهم من المعاصرين في عصورنا المتأخرة فقد حاكوا من سبقهم في كثير مما أثاروه وإن صبغوا ذلك بصبغة علمية كما قالوا .

ولذلك سأكتفي بالشبه التي وردت في القرآن الكريم، والتي تعد هي أصول الشبه الواردة حول الوحي ومصدريته .

وسيكون ذلك من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول

أصول الشبه حول الوحي

لقد أثار المشركون المعاصرون لنزول الوحي شبهات حول الوحي ومصدره، وتعددت آراءهم بل تضاربت . ويمكن أن أوجزها في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أنه أساطير الأولين

زعم المشركون أن الوحي مصدره أساطير الأولين وقد حكى الله تعالى عنهم ذلك بقوله عز وجل: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾[1]، وقوله: ﴿ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾[2]، وقوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾[3]، وقوله: ﴿ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[4]، قالوا ذلك حينما عجزوا عن تعيين وتحديد مُعَلِّم للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، فكلما حددوا شخصاً قامت عليهم الحجة فآثروا أن يوجهوا الأمر إلى مجهول، فشبهوا القرآن بأساطير الأولين ويقصدون بها الحكايات

---

(١) سورة الفرقان الآية (٥) .

(٢) سورة الأنعام الآية (٢٥) .

(٣) سورة النحل الآية (٢٤) .

(٤) سورة المطففين الآيتان (١٢، ١٣) .

التاريخية وقصص وأخبار الماضين الذين سطروها في كتبهم سواء كانت صدقاً أو كذبا، ويقولون إن محمداً استنسخها بوساطة أهل الكتاب فهي تُقْرأ عليه صباح مساء ليحفظها فهو أمي لا يقرأ ولا يكتب .

وأقول: إن هذا محض افتراء وبعد عن الحق ومكابرة، فهم قد عرفوا صدق محمد صلى الله عليه وسلم وأمانته وبعده عن الكذب مدة أربعين عاما قبل بعثته حتى لقبوه بالأمين، فلما أكرمه الله بالرسالة عادوه واتهموه بما هو بريء منه . وقد أجابهم الله تعالى على هذه التهمة بقوله: ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[١] فالقرآن المشتمل على أخبار الأولين والآخرين أنزله الذي يعلم غيب السماوات والأرض ويعلم السرائر كعلمه بالظواهر، ثم إنه صلى الله عليه وسلم لو كان أخذه من أحد لتمكن المشركون أيضاً من أخذه، كما تمكن محمد صلى الله عليه وسلم، فهلا عارضوه، فلما عجزوا عنه ثبت أنه وحي الله وكلامه[٢] .

---

(١) سورة الفرقان الآية (٥) .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٦/ ٩٣، ٩٤، وتفسير التحرير والتنوير ٧/ ١٨٢، والتفسير المنير ١٩/ ١٦، ١٧ .

المطلب الثاني: أنه مفترى من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقد زعم المشركون المعاصرون لنزول القرآن الكريم افتراء الرسول الكذب على ربه كما حكى الله عنهم بقوله: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾[1] أو أنه وضع القرآن بعلمه وثقافته المكتسبة ثم نسبه إلى الله، فقالوا إن القرآن الكريم من تأليف وإنشاء الرسول صلى الله عليه وسلم أو أنه أعانه عليه آخرون، وهم بذلك يستكثرون حتى أن يكون من إنتاجه وحده، فقالوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾[2]، وقالوا فيما حكاه الله عنهم ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾[3].

وقد اختلفوا في من هم القوم الآخرون الذين ادعو أنهم أعانوه:

- فمنهم قال إنه غلام رومي أعجمي حداد يصنع السيوف في مكة حيث كان ملما بالقراءة والكتابة ويعلم شيئاً من الكتاب .
- ومنهم من قال إنه بحيرا النصراني الذي لقيه النبي صلى الله عليه وسلم في سوق بصرى بالشام .
- ومنهم من قال إنه ورقة بن نوفل أحد علماء النصرانية وقريب السيدة خديجة إذ لقيه النبي صلى الله عليه وسلم في مكة إثر نزول

(١) سورة ص الآية (٧) .

(٢) سورة الفرقان الآية (٤) .

(٣) سورة النحل الآية (١٠٣) .

الوحي عليه أول مرة .

- ومنهم من قال هم من لقيهم من اليهود والنصارى .
- ومنهم من قال أخذه عمن أسلم من أهل الكتاب[(١)] .

وأقول: إن اتهامهم للرسول صلى الله عليه وسلم بالافتراء والكذب ينقضه تقريراتهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة فكانوا يصفونه بالصادق الأمين، ولما قال لهم: ((أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟ قالوا: نعم ما جربنا عليك إلا صدقا))[(٢)].

وفي استجواب هرقل لأبي سفيان بالسؤال عن حال النبي صلى الله عليه وسلم: ((هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فقال: لا))، وفي نهاية الحوار قال له: ((لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله))[(٣)] .

ثم إنه إذا كان كما زعموا أنه ﴿ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ فلماذا لم يعارضه البلغاء والشعراء والحكماء وقد تحداهم، فعجزهم يدل على كذبهم وتناقض أقوالهم . وقولهم ﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ﴾ يناقض قولهم إنه ﴿ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾[(٤)] .

---

(١) انظر النكت والعيون ٤/ ١٣٢، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ١٧٧ .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ١٦، ١٧ في كتاب: التفسير، باب: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ الشعراء: ٢١٤ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٥، ٦ في كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٤) انظر آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي ١٤، ١٥ .

وقد رد الله عليهم هذه الفرية بقوله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾(٢) .

وما قالوه بأنه أعانه عليه الغلام الرومي فقد رد الله ذلك بقوله: ﴿ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾(٣) .

وما قالوه بأنه بحيرا النصراني فقد كان لقاؤه به في حضرة رجال القافلة وعمره حينئذ لا يتجاوز اثنتي عشر سنة، وكان سريعا محدوداً، فطبيعة ذلك تنفي تعلم النبي صلى الله عليه وسلم منه، بل لم تشر الروايات إلى التعلم، وتؤكد بأن بحيرا قال لعمه أبي طالب: ((هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين، يبعثه الله رحمة للعالمين))(٤)، وهل يعقل أن بحيرا كلم هذا الطفل ؟ ولماذا اختاره بين أفراد القافلة ؟ ثم لماذا لم يقم هو بنفسه بما زعموا أنه علمه النبي صلى الله عليه وسلم ؟ ولماذا تأخر النبي صلى الله عليه وسلم في نشر ما تعلمه إن كان ذلك صحيحاً ؟ .

وما قالوه بأنه ورقة بن نوفل فهذا أيضا متهافت فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتصل به إلا بعد مجيء الوحي إليه، وكانت فكرة الاتصال وردت من

(١) سورة السجدة الآية (٣) .

(٢) سورة هود الآية (٤٩) .

(٣) سورة النحل الآية (١٠٣) .

(٤) أخرجه الترمذي في سننه ٥/ ٥٩٠ حديث رقم ٣٦٢٠ في كتاب: المناقب، باب: ما جاء في بدء نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وقال عنه حديث حسن غريب .

زوجه خديجة رضي الله عنها، ثم إن موقف ورقة من ذلك اللقاء موقف المستفسر لما حصل للنبي صلى الله عليه وسلم في غار حراء لا موقف المعلم، وبعد أن سمع منه قال ورقة: ((هذا الناموس - أي أمين الوحي -الذي نَزّل الله على موسى))[١] ولم يلبث أن توفي ورقة .

وما قالوه بأنه أخذه عن أهل الكتاب فإنه لم يكن بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم توراة ولا إنجيل، كما أنهما لم يظهرا باللغة العربية في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين، كما أنه لا يوجد من أهل الكتاب أحد في مكة سوى ورقة بن نوفل الذي توفي قبل أن يكلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبليغ الدعوة، كما أن القرآن الكريم استمر نزوله حتى توفي النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه من الأحداث والأحكام التي وقعت بعد وفاة ورقة بسنين طويلة فكيف يكون أخذه منه أو علمه إياه . ثم إن اليهود كانوا يتحدون الرسول بالأسئلة ويطلبون منه الإجابة عليها ولو كانوا يعلمون أنهم قاموا بتعليمه لما تحدوه بذلك، بل كشف القرآن الكريم خيانتهم وتزويرهم وتحريفهم لكتبهم، ووصفهم بنقض العهود والمواثيق وكتم العلم، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٣ في كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي.
(٢) سورة آل عمران الآية (٦٥) .

بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾[1].

وما قالوه إنه أخذه عمن آمن من أهل الكتاب كعبدالله بن سلام فلا يعقل أن يعلموه وهم الذين أسلموا على يديه، وسلَّموا بنبوته[2].

(١) سورة البقرة الآية (٧٩).

(٢) انظر آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي ٤١ – ٥٥.

المطلب الثالث: أنه قول شاعر أو كاهن أو مجنون أو ساحر

ومن شبهاتهم لإنكار الوحي وصفهم للرسول صلى الله عليه وسلم بأوصاف مقذعة:

فوصفوه بقول الشعر، كما في قوله تعالى: ﴿ بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ ﴾[١]، قوله: ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ﴾[٢]، وقوله: ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ ﴾[٣] .

ووصفوه بالكهانة كما في قول الله تعالى: ﴿ فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾[٥]، والكاهن هو الذي يخبر بالأخبار الماضية الخفية وقد تكون مستمدة من الجن .

ووصفوه بالجنون، كما حكى الله عنهم بقوله: ﴿ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ ﴾[٦]، وبقوله: ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٞ ﴾[٧]، وبقوله: ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ

---

(١) سورة الأنبياء الآية (٥) .

(٢) سورة الصافات الآية (٣٦) .

(٣) سورة الطور الآية (٣٠) .

(٤) سورة الطور الآية (٢٩) .

(٥) سورة الحاقة الآية (٤٢) .

(٦) سورة الدخان الآية (١٤) .

(٧) سورة المؤمنون الآية (٢٥) .

عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾(١).

ووصفوه بالسحر، فحكى الله عنهم بقوله: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾(٢)، وبقوله: ﴿ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ ﴾(٣)، وبقولــــه: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾(٤)، وبقوله: ﴿ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾(٥).

وبقوله: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾(٦)، كما زعموا أن معجزة انشقاق القمر سحر ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ ﴾(٧)، كما زعم الوليد بن المغيرة أن القرآن سحر ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴾(٨).

---

(١) سورة الحجر الآية (٦) .

(٢) سورة الصفات الآيتان (١٤، ١٥) .

(٣) سورة ص الآيتان (٤، ٥) .

(٤) سورة الزخرف الآية (٣٠) .

(٥) سورة هود الآية (٧) .

(٦) سورة الأنعام الآية (٧) .

(٧) سورة القمر الآيتان (١، ٢) .

(٨) سورة المدثر الآية (٢٤) .

وأقول: إن قولهم بأنه شاعر فإنه لم يعهد عنه قول الشعر أو مجالسة الشعراء في أنديتهم وأسواقهم، بل الذي في القرآن الكريم التعنيف على الشعراء غير المؤمنين كما في قول الله تعالى: ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾[(١)]، كما أن هناك فروق جوهرية بين القرآن الكريم وبين الشعر، وقد رد الله عليهم هذه التهمة بقوله: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾[(٢)] حتى إن الفصحاء منهم عرفوا أن ليس في القرآن شيء من الشعر، وأن أسلوبه يعلو ولا يعلى عليه، وما هو بقول بشر . .

وقولهم بأنه كاهن، فهل سُمِع بأن كاهناً وضع كتاباً فضلاً أن يضع قرآناً ؟ ومن المعلوم بداهة أن الكاهن لا يكوِّن أمة وحضارة بل كان يعيش في وسط ضيق بدائي ومعزول يعيش على الكذب والخداع، ثم إن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يتردد على الكهنة طيلة حياته قبل النبوة وبعدها، ثم لو كان كذلك لما حارب الكهان وحرم على أمته مراجعتهم وتصديقهم، قالت عائشة رضي الله عنها سأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ناسٌ عن

---

(١) سورة الشعراء الآيات (٢٢٤ – ٢٢٧) .

(٢) سورة الحاقة الآيات (٣٨ – ٤٣) .

الكهان، فقال: ((ليسوا بشيء)) فقالوا: يا رسول الله إنهم يحدثونا أحيانا بشيء فيكون حقاً ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيُقِرُّها في إذن وليّه، فيخلطون معها مائة كذبة))[1]، وقد رد الله عليهم بقوله: ﴿ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾[2] .

وقولهم بأنه مجنون، فإن كانوا صادقين بذلك فلماذا حَكَّموه في وضع الحجر الأسود في مكانه عند بناء البيت، وهم يعلمون أن المجنون لا يُحكَّم ولا يتبعه عاقل . وقد نفى الله عز وجل عنه الكهانة والجنون كما في قوله عز وجل: ﴿ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾[3]، وبقوله تعالى: ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴾[4]، وبقوله: ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ ﴾[5]، كما لفت الأنظار إلى سمات الرسول صلى الله عليه وسلم ومهمته فقال عز وجل: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[6] .

---

(١) انظر النبوة والعصر ٢٣، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٢٨ في كتاب: الطب، باب: الكهانة، ومسلم في صحيحه ٤/ ١٧٥٠ حديث رقم ٢٢٢٨ .

(٢) سورة الحاقة الآيتان (٤٢، ٤٣) .

(٣) سورة الطور الآية (٢٩) .

(٤) سورة التكوير الآية (٢٢) .

(٥) سورة القلم الآيتان (١، ٢) .

(٦) سورة الأعراف الآية (١٨٤) .

وقولهم بأنه ساحر، فكيف يكون كذلك والرسول صلى الله عليه وسلم حمل على السحرة والكهنة، فلو كان متصلاً بهم وناقلاً عنهم لما صدر منه مهاجمتهم ولا تحقيرهم، كما أنه لو كان ساحراً كما زعموا لسحر أشد أعدائه وضمهم إلى صفه، ثم إن الخوارق التي تحصل بأفعال الملائكة تختص بالأنبياء، ولذلك أخبر الله تعالى أن القرآن إنما أنزله الله بمَلِكٍ من عنده ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) ﴾[١] .

أما أصحاب السحر والكهانة فيستعينون بالجن والشياطين ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ (٢٢٣) ﴾[٢]، كما أن آيات الأنبياء لا يقدر على إبطالها إنس ولا جان فهي خارجة عن مقدورهم قال الله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[٣]، بالإضافة إلى أن معجزات الأنبياء لا تنال بالكسب وبذل الجهد فأمرها عائد إلى الله، ﴿ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[٤]، أما السحر والكهانة فتنال بالكسب والتعلم[٥] .

---

(١) سورة التكوير الآيتان (١٩، ٢٠) .

(٢) سورة الشعراء الآيات (٢٢١ – ٢٢٣) .

(٣) سورة الإسراء الآية (٨٨) .

(٤) سورة العنكبوت الآية (٥٠) .

(٥) انظر وحي الله ٦٩ .

ومن هنا يتبين اضطرابهم في موقفهم من نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالذين رموه بالشعر والكهانة والجنون والسحر هم الذين نفوا عنه هذه الدعاوى[1] بل نجدهم يضطربون وتتضارب آراؤهم وتتبلبل أفكارهم بصورة لا يستطيعون أن يثبتوا على تهمة يقول الله تعالى حكاية عنهم: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾[2]، فنلحظ أنهم ردوا مصدر القرآن تارة إلى الأحلام ورؤى المنامات، وتارة أخرى إلى الكذب والافتراء، وتارة ثالثة إلى الشعر والخيال، ألا ساء ما يحكمون .

(١) انظر آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي ١٥، ١٦ .

(٢) سورة الأنبياء الآية (٥) .

المبحث الثاني
أثر أصول الشبه على المعاصرين

لقد تناول بعض الباحثين وبخاصة بعض المستشرقين آراء المشركين المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم حول الوحي والرسول، وتوسعوا فيها مُدَّعين أنهم ألبسوها ثوب البحث العلمي، مع أنها تكرار لآراء المشركين نفسها، فاغترفوا منها من غير تثبت ولا روية، وغيَّروا فيها حسب ما تمليه عليه أهواؤهم ورغباتهم، فجاءت مزاعمهم متهالكة ممجوجة لا يقبلها صاحب العقل المنصف .

لقد عمدوا على تزيين الكلام وتنميقه وربطه - زعماً - بالبحث العلمي وهو عنه بعيد، فتراهم يزعمون ويفترون ويختلقون بهدف تشويش الأذهان، والتشكيك في القرآن، ثم الإيحاء بأن الإسلام ليس من عند الله بل هو من أفكار محمد صلى الله عليه وسلم .

وبتتبع هذه الآراء والشبه يمكن تصنيفها إلى ثلاثة أصناف:

الأول: إبطال الوحي والادعاء بأن محمداً صلى الله عليه وسلم افترى القرآن من عند نفسه، جاء في دائرة المعارف الإسلامية ((القرآن ليس من عند الله)) .

وقال غوساف لوبون: ((القرآن من عند محمد: من تأليفه)) .

وقال هـ . ج . ويلز: ((محمد هو الذي صنع القرآن))[١] .

أما كيف صنعه فقد زعموا أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان ساحراً

---

(١) انظر أقوالهم في: آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي ٣٢ .

لبقاً، أو أنه نظمه شعراً، أو أنه جمعه من البيئة المكية التي كانت تعج بالرهبان والقسيسين .

وهذه الآراء والشبه هي ما كان يتداوله مشركو العرب ولكنها ألبست ثوباً جديداً فهم تأثروا بما قيل فيه سابقا .

ويمكن الرد عليهم بما سبق في أصول الشبه ويضاف إلى ذلك ما يلي:

١- أن كلامهم غير صحيح فلو كان الوحي من عند محمد لجعله يوافق هواه، ويضمنه أحاديثه، ويسرد فيه حياته، ويوافق رأيه في كل شيء وخاصة المواقف التي جاء القرآن الكريم معاتباً له فيها، كموقفه من عبدالله بن أم مكتوم بقوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ٢﴾[1] ومسألة أسرى بدر بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٧ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٦٨﴾[2] وغيرهما .

٢- اختلاف أسلوب القرآن الكريم عن أسلوب قولِ وحديثِ الرسول صلى الله عليه وسلم فيما صدر عنه، فلو كان القرآن الكريم من عنده لما اختلف الأسلوبان .

٣- تضمن القرآن الكريم نبؤات غيبية وأحكام تشريعية وإشارات علمية دقيقة

---

(١) سورة عبس الآيتان (١، ٢) .

(٢) سورة الانفال الآيتان (٦٧، ٦٨) .

كل ذلك ينفي أن القرآن مصدره بشر .

٤ - مواجهة النبي صلى الله عليه وسلم لكثير من المواقف الشديدة التي تحتاج أن ينزل القرآن الكريم ويحسمها، كما حصل لزوجه عائشة رضي الله عنها وحادثة الإفك، فلو كان القرآن من عنده لقطع الأمر من أول وهلة(١) .

الثاني: اتهام الرسول بأنه تلقى القرآن من عند غيره(٢) كالحداد الرومي، وبحيرا النصراني، وورقة بن نوفل، وتلقاه من أهل الكتاب، وأخذه ممن أسلم منهم، وذلك على اختلاف فيما بينهم، وهم بذلك يرددون ما ردده أسلافهم من المشركين أثناء نزول القرآن الكريم .

يقول مونتغمري واط: ((يبدو ورقة من بين الذين اتصل بهم محمد صلى الله عليه وسلم لسبب معرفته بكتب المسيحية المقدسة . . . ومن الأفضل الافتراض بأن محمداً كان قد عقد صلات مستمرة مع ورقة منذ وقت مبكر وتعلم أشياء كثيرة، وقد تأثرت التعاليم الإسلامية اللاحقة كثيراً بأفكار ورقة))(٣) .

ويقول جولد زيهر: ((فتبشير النبي العربي ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء دينية عرفها بفضل اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية التي تأثر بها تأثراً عميقاً والتي رآها جديرة بأن توقظ في بني وطنه

(١) انظر آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي ٣٦ .

(٢) أضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين ١٧، ١٨ .

(٣) مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ١/ ١٦٤ .

عاطفة دينية صادقة)) [1] .

وقال جوتين: ((من النزاع القائم بين النبي وبين الذين رفضوا الإيمان برسالته إشارة إلى إن المصدر الأصلي لمعلومات محمد هو بعض رجال بني إسرائيل، كما هو واضح من أقوال أهل مكة))[2] .

وقال فيليب حتي: ((إن محمداً صلى الله عليه وسلم استقى الكثير من المعلومات عمن أسلم من اليهود والنصارى أمثال سلمان الفارسي وعبدالله بن سلام ومارية القبطية وغيرهم))[3] .

وهذه الآراء كما نلاحظ هي ما سبق أن قاله ورردده أسلافهم من المشركين ويرد عليهم بما سبق أن رددنا به عليهم، ونضيف هنا:

١- أن الحداد الرومي والذي كان يعمل حداداً بمكة رجل عامي، أعجمي اللسان، والقرآن عربي، يقول الله تعالى: ﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾[4] .

٢- أما قولهم بأنه تلقاه عن بحيرا الراهب بالشام أثناء تجارته لخديجة بنت خويلد، فإن اللقاء الذي تم كان عابراً وقصيراً لا يكفي لأن يأتي بهذا القرآن المعجز، ثم لو كان هذا الراهب هو مصدر القرآن لكان هو الأولى

(١) مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ١/ ٣١، وانظر أضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين ١٧، ١٨ .

(٢) آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي ٤١ .

(٣) الإسلام والمستشرقون ٣١ .

(٤) سورة النحل الآية (١٠٣) .

به من محمد صلى الله عليه وسلم، ولادعى لنفسه النبوة بدلاً من أن يؤثر بها غيره، كما أن بحيرا أخبر أبا طالب بأنه سيكون لابن أخيه شأن عظيم، فلا يعقل أن يبشره بالنبوة ثم ينصب نفسه أستاذاً لهذا النبي، وهذا عدا الخلاف الواضح بين القرآن وما ينتمي إليه هذا الراهب[١] .

٣- أن قولهم أنه تعلم عن ورقة بن نوفل فهذا غير صحيح البتة فإن الروايات الصحيحة تؤكد أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتصل بورقة إلا بعد أن جاءه الوحي في غار حراء للسؤال عما رأى وسمع، وبحضور السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فلما أخبره كان موقفه المبشر والمصدق والمؤيد لنبوته، كما أن ورقة لم يدم طويلاً بعد هذا اللقاء، إذ توفي بعد ذلك بوقت قصير ومما قاله ورقة: ((هذا الناموس الذي نَزّل الله على موسى يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك)) قالت عائشة: ((ثم لم ينشب ورقة أن توفي))[٢]، ثم إن القرآن الكريم نزل على النبي صلى الله عليه وسلم منجماً في ثلاث وعشرين سنة حسب الحوادث والوقائع فمن أين لورقة معرفة هذه الحوادث قبل وقوعها[٣] .

٤- أما قولهم إنه تلقاه من أهل الكتاب اليهود والنصارى الموجودين في

---

(١) انظر الأدلة على صدق النبوة المحمدية ٤٧١ .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة ١/ ٣ في كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي .

(٣) انظر الأدلة على صدق النبوة المحمدية ٤٧٣، ٤٧٤ .

جزيرة العرب فينقصه تحديد هؤلاء، ومتى تم لقاء النبي صلى الله عليه وسلم بهم ؟ فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يثبت أنه التقى أحداً من اليهود والنصارى قبل البعثة إلا بحيرا الراهب وقد مضى بطلان تلقي الرسول صلى الله عليه وسلم عنه.

ثم إن اليهود لم يكونوا في مكة والقرآن الكريم أكثره نزل في مكة والنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بينه وبينهم اتصال إلا بعد هجرته إلى المدينة حيث وجدوا، وقد كشف القرآن الكريم خيانتهم وتزويرهم وتحريفهم لكتبهم، ووصفهم بنقض العهود والمواثيق وكتم العلم، حيث لا يبذلون لطالبيه حتى ظنوا به على أبنائهم، فهل يمكن أن يقال بعد ذلك إنهم عَلَّموا النبي صلى الله عليه وسلم ؟[١]

٥- وقولهم إنه أخذ القرآن عمن أسلم من اليهود والنصارى فهو قول باطل فإسلامهم حجة قائمة على صدق ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من الوحي الإلهي، ولو كان كما يقولون إنه تتلمذ على يديهم لانفضوا من حوله، ولعادوا إلى دينهم، ولم تكن لهم تلك المنزلة الرفيعة في الإسلام[٢]، ثم إن سلمان الفارسي رضي الله عنه لم يتصل بالنبي صلى الله عليه وسلم إلا بعد الهجرة، وعبدالله بن سلام كان تلميذاً للرسول صلى الله عليه وسلم يتعلم منه ويتلقى عنه فكان تابعاً لا متبوعاً .

(١) انظر النبأ العظيم ٦٩، ٧٢ .

(٢) انظر مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ١/ ٣٥ .

يقول محمد دراز: ((أما الادعاء بأن محمداً صلى الله عليه وسلم تلقى علمه من ابن سلام هذا، فلا ينطوي ذلك على تحريف للحقائق التاريخية فحسب بالخلط بين دور التابع والمتبوع، وإنما ينطوي أيضا على قلب في ترتيب الأحداث التاريخية المعروفة، لأن جوهر حقائق التوراة كله كان قد أعلن بدقة في مكة وقبل أن تتاح الفرصة لأمثال عبدالله بن سلام أن يروا وجه الرسول صلى الله عليه وسلم، والجدير بالملاحظة أن الآيات القليلة التي نزلت بالمدينة تتعلق في أغلبها بالحقائق الدينية المسيحية التي ينكرها اليهود تماماً))[١] .

ومن هنا يتبين أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتلق علماً من أحد من الناس، ولم يجلس إلى عالم قط، فكان أمياً لا يعرف القراءة والكتابة فلم يبق إلا أن يكون القرآن الكريم ليس من عنده بل هو وحي أوحاه الله إليه .

الثالث: أن القرآن الكريم من إبداع محمد صلى الله عليه وسلم جاء به من عند نفسه بطريق الإلهام وهو ما يسمونه بـ: ((الوحي النفسي)) .

يقول مونتغمري واط: ((لا يلزم من صدق الإنسان أن يكون مصيباً فيما يقول بل يمكن أن يكون صادقاً ومع ذلك مخطئاً، إذن فمحمد مخطيء في ظنه أن القرآن وحي يأتيه من الخارج بواسطة ملك، وإذن فالقرآن صدر من جهة من جهات نفسه، وتلك الجهة هي اللا شعور الجماعي))[٢] .

---

(١) مدخل إلى القرآن الكريم ١٦٣، ١٦٤ .

(٢) مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ١/ ٢٩، وانظر الأدلة على صدق النبوة المحمدية ٤٨٥ .

ويقول جو ستاف لوبون: ((ويجب عدُّ محمدٍ صلى الله عليه وسلم من فصيلة المتهوسين من الناحية العلمية كأكبر مؤسسي الديانات، ولا أهمية لذلك، فلم يكن ذوو المزاج البارد من المفكرين هم الذين ينشؤن الديانات ويقودون الناس، وإنما أولو الهوس هم الذين مثلوا هذا الدور، وهم الذين أقاموا الأديان وهدموا الدول وأثاروا الجموع وقادوا البشر))(١).

ويقول جولد زيهر: ((ففي العصر المكي جاءت المواعظ التي قَدَّم بها محمد الصورة التي أوجبتها إليه حميته الملتهبة في شكل وهمي خيالي حاد تلقائي ذاتي))(٢).

وبعضهم يصف الحالة التي كانت تصيب محمداً صلى الله عليه وسلم عندما يأتيه الوحي بأنها حالة صرع واضطرابات عصبية، يقول جوستاف فيل: ((إن ما كان ينتاب الرسول مما يشبه الحمى، وما كان يسمعه من صوت كصلصلة الجرس ليس وحياً، وإنما هو نوبات صرع واضطرابات عصبية))(٣).

ويقول نولدكة: ((إن سبب الوحي النازل على محمد والدعوة التي قام بها هو ما كان ينتابه من داء الصرع))(٤).

وهذه الدعاوى هي أشبه بدعوى المشركين باتهام الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنون حيث زعموا أن بعض الجن يتراءى له فيوهمه أنه

(١) مناهج المستشرقين ١/ ٢٩، وانظر الأدلة على صدق النبوة المحمدية ٤٩٢ .

(٢) آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي ٥٨ .

(٣) آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي ٦٠ .

(٤) أضواء على مواقف المستشرقين ٦ .

رسول، يقول عتبة بن ربيعة: ((. . . وإن كان هذا الذي يأتيك رِئْياً تراه ولا تستطيع رَدَّه عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه))[١]، وزعم بعضهم أن الشياطين هي التي نزلت به كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ ﴾[٢]، والظاهر أن التهمتين واحدة اللهم إلا أن التعبير اختلف فكل عبر بحسب فهمه، فالمعاصرون من المستشرقين وغيرهم عبروا عنه بالوحي النفسي والأوهام والخيالات، والمشركون عبروا عنه بالجن، ويجاب عنهم بما سبق بالرد على شبه المشركين، وأضيف هنا ببعض ما قاله بعض المنصفين منهم:

فقال ماركس مايرهوف: ((أراد بعضهم أن يرى في محمد رجلاً مصاباً بمرض عصبي أو بداء الصرع، ولكن تاريخ حياته من أوله إلى آخره ليس فيه شيء يدل على هذا، كما أن ما قام به فيما بعد من التشريع والإدارة يناقض هذا القول))[٣] .

وقال بلاتونوف: ((وغاية ما نَقْدِر أن نجزم به هو تبرئة محمد من الكذب والمرض))[٤] .

---

(١) سيرة بن هشام ١/ ٣١٣، والرئي: ما يتراءى للإنسان من الجن .

(٢) سورة الشعراء الآيات (٢١٠ – ٢١٢) .

(٣) آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره ١/ ٤٠٣، والإسلام والرسول في نظر منصفي الشرق والغرب ١٦٢، والأدلة على صدق النبوة المحمدية ٥٠٧ .

(٤) آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره ١/ ٤٠٣ .

وقال ادوارد مونتيه: ((كان محمد نبياً صادقاً كما كان أنبياء بني إسرائيل في القديم، كان مثلهم يؤتى رؤيا ويوحى إليه، وكانت العقيدة الدينية وفكرة وجود الألوهية متمكنتين فيه كما كانتا متمكنتين في أولئك الأنبياء أسلافه))[1] .

كما أن الأدلة النقلية والعقلية تؤكد انتفاء أن يكون الوحي من داخل نفسه صلى الله عليه وسلم، فمن الأدلة النقلية على أن لفظه ومعناه من الله وليس من عند نفسه قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾[2]، ومن الأدلة على أن الوحي إلى محمد مثل الوحي إلى سائر الأنبياء قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ﴾[3] .

ومن الأدلة العقلية أن أعراض الوحي الظاهرة عليه صلى الله عليه وسلم لا دخل له فيها فهي خارجة عن قدرته وذاته، بل كان يتلقى القرآن الكريم من أمين الوحي على عجل، يحرك لسانه وشفتيه طلباً لحفظه وعدم نسيانه، قال الله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[5]، فلو

(١) الوحي المحمدي لمحمد رشيد رضا ٩٤، وانظر آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي ٦١ .

(٢) سورة النجم الآيتان (٣، ٤) .

(٣): سورة النساء الآية (١٦٣) .

(٤) سورة القيامة الآيات (١٦ - ١٩) .

(٥) سورة طه الآية (١١٤) .

كان القرآن نابعاً من نفسه لجرى على لسانه في كلامه العادي.

كما أن موقفه المليء بالخشية والتقديس للقرآن الكريم يؤكد أنه ليس من عند نفسه كما يقولون[١] .

وقد عاش النبي صلى الله عليه وسلم طيلة حياته في صحة وعافية مميزة، ولم يطرأ عليه خلل في عقله أو أعصابه في يوم من الأيام، بل بلغ الكمال في عقله وفي عمله وفي نشر دعوته، وفي إنشاء دولته وتأسيس نظامها . فلو كان مصاباً بأمراض نفسية أو الصرع ونحوه هل يقوى على ذلك ؟

يقول عبدالكريم الخطيب: ((أمجنون مصروع يبني دولة، وينشيء نظاماً، ويقيم دينا يعيش في أجيال الناس، منذ قام إلى اليوم دون أن يصاب بنكسة أو خلل))[٢] .

وهكذا نلحظ أن شبهات المستشرقين ومن سار على نهجهم ترديد لشبهات المشركين إلا أنهم ألبسوها لباساً جديداً وعرضوها عرضاً مزركشاً مدعين الموضوعية والبحث العلمي، ولا أدل على ذلك من تخبطهم وتضاد آرائهم، فهم كلما وضعوا أيديهم على رأي لم يثبتوا عليه طويلاً، لأنه لم يحقق هدفهم، لذا فهم يظهرون كل الفروض والتقديرات التي يرون أنها تشكك أو تزرع شوكاً أمام حقيقة الوحي، نسأل الله أن يلهمنا الصواب في القول والعمل .

(١) انظر الأدلة على صدق النبوة المحمدية ٥٠٧ .

(٢) النبي محمد ١٣٩، وانظر الأدلة على صدق النبوة المحمدية ٥٠٨ .

المبحث الثالث

موقف القرآن الكريم من هذه الشبهات

بعد أن قدمنا أصول الشبه والرد عليها وأثرها على المعاصرين، نبين هنا موقف القرآن الكريم من هذه الشبه عموما وذلك بنهجه منهجاً سديداً سواء مع النبي صلى الله عليه وسلم المتلقي للقرآن الكريم بتثبيته وأمره بالصبر على ما يلاقيه من أذى وإنكار لما نزل عليه من الوحي، أم بالتأكيد على أن القرآن الكريم وحي من الله تعالى، أم بالرد المباشر على الشبه والافتراءات التي ألصقت بالقرآن الكريم ومصدره:

أولاً: تثبيت الرسول صلى الله عليه وسلم بتذكيره بأن ما رمي به حل بالأنبياء السابقين، فقال عز وجل: ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾[1].

وقال عز وجل: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ ﴾[2].

وقال عز وجل: ﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾[3].

كما أمر الله عز وجل نبيه بالصبر والتحمل وعدم التأثر بما يقولون

---

(١) سورة فصلت الآية (٤٣) .

(٢) سورة الحج الآيات (٤٢ – ٤٤) .

(٣) سورة الأنعام الآية (١٠) .

والثبات على ما أوصى الله به فقال عز وجل: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾[١].

وأمره بالتمسك بالقرآن بقوله: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[٢].

وأمره بعدم الحزن لما يقولون بقوله: ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾[٣].

ثانياً: التأكيد في مواضع كثيرة من القرآن الكريم على أن القرآن الكريم حق منزل من عند الله عز وجل ، فقال عز وجل: ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[٤]، وقال عز وجل: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾[٥]، وقال عز وجل: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ ﴾[٦].

---

(١) سورة الروم الآية (٦٠) .

(٢) سورة الزخرف الآية (٤٣) .

(٣) سورة يس الآية (٧٦) .

(٤) سورة الفرقان الآية (٦) .

(٥) سورة السجدة الآيات (١ – ٣) .

(٦) سورة الزمر الآيتان (١، ٢) .

ثالثاً: التهديد الشديد والوعيد العظيم والعذاب الأليم لمن كذب بالقرآن بأي طريق كان، فقال عز وجل: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (٤٤) وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (٤٥)﴾(١)، وقال عز وجل: ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٣) كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ (١٧)﴾(٢).

رابعاً: الرد على الشبه التي أثارها المنكرون الجاحدون، ودفع التهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليه من وحي، وقد سبق بيان شيء من ذلك، وأضيف هنا أدلة أخرى فقال الله عز وجل: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ (٢١٠) وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ (٢١١) إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ (٢١٢)﴾(٣)، وقال عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾(٤)، وقال عز وجل: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾(٥)، وقال عز وجل: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ

---

(١) سورة القلم الآيتان (٤٤، ٤٥) .

(٢) سورة المطففين الآيات (١٢ – ١٧) .

(٣) سورة الشعراء الآيات (٢١٠ – ٢١٢) .

(٤) سورة سبأ الآية (٤٦) .

(٥) سورة يس الآية (٦٩) .

صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾(١)، وقال عز وجل: ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾(٢) (٣) .

وهكذا فإن القرآن الكريم لم يغفل إثبات حقيقته، ولا من نزل عليه، ورد على المبطلين له الشاكين المشككين فيه ومن خلال ما عرضنا في هذا الموضوع يتأكد لنا أن القرآن الكريم أمر غيبي آت من غير جهة إنسانية، خارج عن إرادة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعن رغبته وعلمه واجتهاده، فهو رباني المبدأ، ملائكي النقل، بشري التبليغ .

والعاقل من يمسك عن كنه الوحي، لأن ذلك لا يعلمه إلا الله تعالى، والتفكير في ذلك قد يوصل إلى ما وصل إليه المشركون ومن تابعهم من المعاصرين المستشرقين وغيرهم فهم لم يفرقوا بين المُلْقي والمُتَلقي فوقعوا فيما وقعوا فيه، لذا كان لزاماً على كل عاقل أن يدرك أن الوحي حقيقة لا خيال، صدق لا كذب، تنزيل من حكيم حميد .

وفي الختام أسأل الله التوفيق والسداد، وأشكره على ما تفضل وأنعم، والحمد له أولاً وآخراً، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله وأمينه على وحيه نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) سورة النجم الآيات (١ – ٥) .

(٢) سورة التكوير الآيات (٢٢ – ٢٧) .

(٣) انظر الأدلة على صدق النبوة المحمدية ٤٣٧ .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات . . وبعد:

فإني أشكر الله تعالى الذي أنعم ويسر إعداد وكتابة هذا البحث المتعلق بالقرآن الكريم: مصدره، وكيفية وصوله إلينا، وأصول الشبه المثارة حوله، والرد عليها، وقد خلصت منه إلى النتائج التالية:

١- أن الوحي له عدة تعريفات تعود في جملتها إلى مفهوم الوحي وإطلاقاته .

٢- أن هناك فرق بين الوحي وبين الإلهام والكشف .

٣- أن ورود لفظة الوحي في القرآن الكريم لها عدة إطلاقات تختلف بحسب ورود كل منها .

٤- أن الوحي أنواع ثلاثة: وحي الله إلى الملائكة، ووحي الله إلى رسله دون واسطة، ووحي الله إلى رسله بواسطة الملك، وهو ما يسمى وحي الملك إلى الرسول، وهو أكثر أنواع الوحي وروداً في القرآن الكريم .

٥- أن الوسيط في نزول القرآن الكريم من الله تعالى هو: أمين الوحي جبريل عليه السلام، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم باسمه ووصفه في عدة مواضع أوجزتها في عشرة أسماء وأوصاف .

٦- أن صفة نزول القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم تتمثل في نزول الملك به من الله عز وجل، وأن نزوله كان على قلب النبي صلى الله عليه وسلم، وأن تنزل القرآن الكريم إما أن يكون له تنزلين: جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ومفرقاً على الرسول

صلى الله عليه وسلم في ثلاث وعشرين سنة .

وإما أن يكون له نزولاً واحداً على وجه التفريق، فالرسول صلى الله عليه وسلم أخذه سماعاً من جبريل عليه السلام، وجبريل سماعاً من الله عز وجل.

وقد ذكرت أدلة كل وجه، وكيف أن القول الأول حضي بالشهرة وكثرة القائلين به، وأن الثاني له وجاهته واعتباره لتعضيد الأدلة له .

وذكرت أن من صفته: الاتفاق على أن نزول القرآن الكريم على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كان مفرقاً، ولذلك أدلته وحِكَمه وفوائده، تناولتها مفصلة في ثنايا البحث .

٧- تناولت هيئات الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي: الرؤية الصادقة في المنام، وتمثل جبريل في صورته الملكية، وتمثل جبريل في صورة بشر، والنفث في روع النبي صلى الله عليه وسلم .

٨- تحدثت عن مظاهر الوحي المحسوسة على الرسول صلى الله عليه وسلم وهي المشقة في التلقي، وسماع دوي كدوي النحل، وثقل جسم الرسول صلى الله عليه وسلم، وبروك الناقة إذا نزل الوحي والرسول صلى الله عليه وسلم جالس عليها .

٩- بينت أيضا حال الصحابة رضي الله عنهم عند نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث أدبهم في ذلك عند رؤيتهم لبعض العلامات الحسية المصاحبة لمجيء الوحي، ووصفهم لحال الرسول صلى الله عليه وسلم .

١٠-أكدت على قطعية الوحي بالأدلة الظاهرة الصريحة من القرآن الكريم

وما قررته السنة في ذلك، ودلالات تلك القطعية .

١١-عرضت لأصول الشبه التي وردت في القرآن الكريم حول الوحي ومصدريته والرد عليها وهي زعمهم بأنه أساطير الأولين، وأنه مفترى من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه قول شاعر أو كاهن أو مجنون أو ساحر .

١٢-بينت أثر أصول الشبه على المعاصرين وتلقفهم لها، والتوسع في عرضها، وإلباسها ثوباً جديداً لما كان يتناوله مشركو العرب، وتتركز في: إبطال الوحي والإدعاء بأن محمداً صلى الله عليه وسلم افترى القرآن من عند نفسه، واتهام الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه تلقى القرآن من عند غيره، وأن القرآن الكريم من إبداع محمد صلى الله عليه وسلم جاء به من عند نفسه عن طريق الإلهام أو ما يسمونه ((الوحي النفسي)) .

١٣-تناولت موقف القرآن الكريم من هذه الشبهات سواء مع النبي صلى الله عليه وسلم المتلقي للقرآن الكريم بتثبيته وأمره بالصبر على ما يلاقيه من أذى وإنكار لما نزل عليه من الوحي، أم بالتأكيد على أن القرآن الكريم وحي من الله تعالى، أم بالرد المباشر على الشبه والافتراءات التي ألصقت بالقرآن الكريم ومصدره .

والله تعالى أسأله التوفيق والسداد، والإخلاص في القول والعمل .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . .

قائمة المصادر و المراجع

- آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، د. عمر إبراهيم رضوان، نشر: دار طيبة للنشر والتوزيع بالرياض .
- آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي، إدريس حامد محمد، نشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف .
- أحكام القرآن، لأبي بكر بن العربي، تحقيق: علي البجاوي،نشر: دار المعرفة للطباعة ببيروت، الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٢هـ .
- الأدلة على صدق النبوة المحمدية، هدى عبدالكريم مرعي، نشر: دار الفرقان بعمان سنة ١٤١١هـ .
- أساس البلاغة، لأبي القاسم الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، نشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى سنة ١٤١٩هـ .
- الأسماء والصفات، للبيهقي، تحقيق: عبدالله الحاشدي، نشر: مكتبة السوادي بجدة، الطبعة الأولى سنة ١٤١٣هـ .
- الأسماء والصفات، للبيهقي، نشر: دار إحياء التراث العربي ببيروت .
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين الشنقيطي،نشر: محمد بن لادن، وطبع دار الأصفهاني بجدة، الطبعة الأولى سنة ١٣٧٨هـ .

- أضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين، د. شوقي خليل، نشر: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بطرابلس ليبيا، الطبعة الثانية ١٩٩٩م .
- الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٤م .
- إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٥هـ.
- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لأبي العباس أحمد القسطلاني، ضبط: محمد عبدالعزيز الخالدي، نشر: دار الكتب العلمية،الطبعة الأولى ببيروت سنة ١٤١٦هـ.
- الإسلام والرسول في نظر منصفي الشرق والغرب، أحمد بن حجر آل بوطامي، الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٨هـ .
- الإسلام والمستشرقون، نخبة من العلماء، نشر: عالم المعرفة بجدة سنة ١٤٠٥هـ .
- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، نشر: مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأولى .
- إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض، تحقيق: يحيى إسماعيل، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩هـ، نشر: دار الوفاء بالمنصورة.
- إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض، نشر: دار الوفاء بالمنصورة، الطبعة الأولى سنة ١٤١٩هـ، تحقيق: يحيى إسماعيل.

- البحر المحيط، لمحمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي، عناية: صدقي محمد جميل، نشر: المكتبة التجارية مصطفى الباز مكة المكرمة .
- بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن قيم الجوزية، جمع: يسري السيد محمد، نشر: دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى سنة ١٤١٤هـ .
- البداية والنهاية، لابن كثير، نشر: مكتبة المعارف ببيروت، الطبعة الثانية سنة ١٩٧٧م .
- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي، نشر: دار المعرفة ببيروت، الطبعة الثانية سنة ١٣٩١هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم .
- بهجة النفوس شرح صحيح البخاري، لابن أبي جمرة الأندلسي، نشر: دار الجيل، الطبعة الثالثة .
- تاج العروس من جواهر القاموس، للسيد محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: د. ضاحي عبدالباقي، الطبعة الأولى بالكويت سنة ١٤٢٢هـ .
- تاريخ القرآن، لمحمد حسين الصغير، نشر: الدار العالمية للطباعة ببيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣هـ .
- التبيان في تفسير القرآن للطوسي، تحقيق: أحمد حبيب العاملي، نشر: مكتبة الأمين بالنجف سنة ١٣٦٧هـ .
- تخريج أحاديث مشكلة الفقر، للألباني، نشر: المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥هـ .

- تفسير التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، نشر: الدار التونسية للنشر سنة ١٩٨٤م .
- تفسير جزء عم، لمحمد عبده، الطبعة الثالثة سنة ١٣٤١هـ، نشر: الجمعية الخيرية الإسلامية .
- تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل) لعلاء الدين علي الخازن الطبعة الثانية سنة ١٣٧٥هـ، نشر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي .
- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، لمحمد رشيد رضا، تخريج: إبراهيم شمس الدين، نشر: دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الثانية سنة ١٤٢٦هـ .
- تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد الطيب، نشر: مكتبة نزار الباز بمكة المكرمة، الطبعة الأولى سنة ١٤١٦هـ .
- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: سامي السلامة، نشر: دار طيبة بالرياض، الطبعة الأولى سنة ١٤١٨هـ .
- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، للفخر الرازي، نشر: دار الفكر ببيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠١هـ .
- تفسير مقاتل بن سليمان البلخي، تحقيق: د. عبدالله شحاته، نشر مؤسسة الحلبي وشركاه بالقاهرة .
- التفسير المنير، د. وهبة الزحيلي، نشر: دار الفكر المعاصر بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤١١هـ .

- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) لعبدالله بن أحمد النسفي، نشر: المكتبة الأموية بدمشق .
- تقريب التهذيب، لابن حجر، تحقيق: أبو الأشبال، نشر: دار العاصمة بالرياض، الطبعة الأولى سنة ١٤١٦هـ .
- تلقي النبي صلى الله عليه وسلم ألفاظ القرآن الكريم، عبدالسلام مقبل المجيدي، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى سنة ١٤٢١هـ.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبدالبر، تحقيق: مصطفى العلوي ومحمد البكري، الرباط سنة ١٣٨٧هـ .
- تنزلات القرآن وحكمة كل تنزيل، د. السيد إسماعيل علي، نشر: دار الحسين الإسلامية، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢هـ .
- تهذيب التفسير وتجريد التأويل مما ألحق به من الأباطيل ورديء الأقاويل، للشيخ عبدالقادر بن شيبة الحمد، نشر: مكتبة المعارف بالرياض، الطبعة الأولى سنة ١٤١٤هـ .
- تهذيب التهذيب، لابن حجر، عناية: إبراهيم الزيبق وعادل مرشد، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى سنة ١٤٢١هـ .
- تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري، تحقيق: عبدالله درويش، نشر: الدار المصرية سنة ١٣٨٤هـ .
- التوحيد، لابن خزيمة، تحقيق: د. عبدالعزيز الشهوان،نشر: مكتبة الرشد، الطبعة الثانية سنة ١٤١١هـ .

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى سنة ١٤١٦هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، طبع: شركة مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٨هـ .
- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، نشر: دار الكتاب العربي بالقاهرة، الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٧هـ .
- جمال القراء وكمال الإقراء، للسخاوي، تحقيق: علي حسين البواب، نشر: مكتبة التراث بمكة، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ .
- جواب السيوطي في حق الوحي، نسخة خطية مصورة من المكتبة السليمانية باستانبول .
- الجواب الواضح المستقيم في التحقيق في كيفية إنزال القرآن الكريم، للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ .
- حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، ضبط: محمد عبدالسلام شاهين، نشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٢٧هـ
- الخصائص الكبرى، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد خليل هراس، نشر: دار الكتب الحديثة .
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي، نشر: دار الفكر ببيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣هـ .
- رسالة التوحيد، لمحمد عبده، نشر: دار الكتب العلمية بيروت .

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للآلوسي، نشر: دار إحياء التراث العربي ببيروت .
- الزيادة والإحسان في علوم القرآن، لابن عقيلة المكي، مجموعة رسائل جامعية، نشر: مركز البحوث والدراسات بجامعة الشارقة، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٧هـ .
- السنة، لابن أبي عاصم، نشر: المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠هـ .
- سنن ابن ماجه، لأبي عبدالله محمد بن يزيد بن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، نشر: دار الفكر ببيروت .
- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، نشر: دار الجنان ببيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩هـ .
- سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، نشر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٨هـ .
- السنن الكبرى، للبيهقي، نشر: دار الفكر ببيروت .
- سنن النسائي، لأبي عبدالرحمن النسائي، طبع: مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر .
- السيرة الحلبية، لعلي برهان الحلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي سنة ١٣٤٩هـ .
- السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: السقا والأبياري وشلبي، نشر:

دار إحياء التراث العربي ببيروت، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ .

- شرح الحديث المقتفى في مبعث النبي المصطفى، لأبي شامة، تعليق: جمال عزون، نشر: مكتبة العمرين العلمية بالشارقة، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٠هـ .
- شرح السنة للبغوي، تحقيق: شعيب الارناؤوط، نشر: المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠هـ .
- صحيح البخاري، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، نشر: المكتبة الإسلامية باستانبول سنة ١٩٧٩م .
- صحيح تاريخ الطبري، تحقيق: محمد البرزنجي، نشر: دار ابن كثير، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ .
- صحيح مسلم، لأبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، نشر: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد سنة ١٤٠٠هـ .
- صحيح مسلم بشرح النووي، شرح أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، نشر: دار الفكر ببيروت .
- الضوء المنير على التفسير، لابن القيم، جمع: علي الحمد الصالحي، نشر: مؤسسة النور بالرياض .
- الطبقات الكبرى لابن سعد، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ، وطبعة أخرى نشر: دار صادر ببيروت .

- العظمة، لأبي الشيخ الأصبهاني، تحقيق: رضاء الله المباركفوري، نشر: دار العاصمة بالرياض، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ .
- علوم القرآن، لنور الدين عتر، نشر: دار الخير سنة ١٤١٤هـ .
- علوم القرآن والتفسير، لمحمود شحاتة، نشر: دار الاعتصام بمصر سنة ١٩٨٠هـ .
- غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، نشر: دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦هـ .
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، نشر: دار المعرفة ببيروت، الطبعة الثانية .
- فتح القدير، للشوكاني، نشر: شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية سنة ١٣٨٣هـ .
- فضائل القرآن، لابن الضريس، تحقيق: د. مسفر بن سعيد الغامدي، نشر دار حافظ للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ .
- فضائل القرآن، لابن كثير، تحقيق: أبي إسحاق الحويني، نشر: مكتبة ابن تيمية بالقاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٤١٦هـ .
- فضائل القرآن، لأبي عبدالقاسم بن سلام، تحقيق: وهبي سليمان غاوجي، نشر: دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤١١هـ.
- فضائل القرآن، للنسائي، تحقيق: سمير الخولي، نشر: مؤسسة

الكتب الثقافية، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥هـ .

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، لجارالله الزمخشري، نشر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة سنة ١٣٩٢هـ .
- كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر، لابن العماد، تحقيق: فؤاد عبدالمنعم، نشر: مؤسسة شباب الجامعة بالإسكندرية.
- لسان العرب، لابن منظور، نشر: دار لسان العرب ببيروت .
- لطائف الإشارات، للقسطلاني، تحقيق: إبراهيم بسيوني، نشر: دار الكتاب العربي بالقاهرة سنة ١٣٩٠هـ .
- مباحث في علوم القرآن، لصبحي الصالح، نشر: دار العلم للملايين ببيروت، الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٤م .
- مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان، نشر: مكتبة المعارف بالرياض، الطبعة الأولى سنة ١٤١٣هـ .
- مجمع البيان في تفسير القرآن، للطبرسي الفضل بن الحسن، تحقيق: هاشم الرسولي، نشر: دار إحياء التراث العربي ببيروت سنة ١٣٧٩هـ .
- مجمع الزوائد، للهيثمي، نشر: دار الكتاب ببيروت، الطبعة الثانية سنة ١٩٦٧هـ .
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن ابن محمد القاسم، طبع سنة ١٣٩٨هـ .
- محاسن التأويل، للقاسمي، تصحيح وتخريج: محمد فؤاد عبدالباقي،نشر: دار الفكر ببيروت، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٨هـ.

- محـاضرات في علـوم القـرآن، لغـانم القـدوري، نـشر: دار عـمار بالأردن، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٣هـ .
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبدالحق ابن عطية، تحقيق: الرحالي الفاروق وآخرون، طبعة وزارة الأوقاف بقطر،الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨هـ .
- مدخل إلى القرآن الكريم، لمحمد عبدالله دراز، نشر: دار القلم بالكويت سنة ١٤٠٤هـ .
- المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد محمد أبو شهبة، نشر: دار اللواء بالرياض .
- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالقرآن العزيز، لأبي شامة المقدسي، تحقيق: طيار آلي قولاج، نشر: دار صادر بيروت سنة ١٣٩٥هـ .
- المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسبوري، نشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب.
- مسند إسحاق بن راهوية، تحقيق: عبدالغفور البلوشي، نشر: مكتبة الإيمان بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ .
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، نشر: المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٣هـ .
- مسند الشاميين، للطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩هـ .
- مسند الشهاب للقضاعي، تحقيق: حمدي السلفي، نشر: مؤسسة

الرسالة، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥هـ .

- مشكاة المصابيح، للخطيب التبريزي، تحقيق: جمال عيتاني، نشر: دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٤هـ .
- معالم التنزيل للبغوي، تحقيق: خالد العك ومروان سوار، نشر: دار المعرفة ببيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦هـ .
- المعجم الأوسط للطبراني، تحقيق: محمود الطحان، نشر: مكتبة المعارف بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .
- معجم مقاييس اللغة، تحقيق: محمد عبدالسلام هارون، نشر: دار إحياء الكتب العربية ببيروت، الطبعة الأولى سنة ١٣٧١هـ .
- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني، نشر: شركة مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٨١هـ.
- مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، نشر: المنظمة العربية للتربية والثقافة، بحث للتهامي نقرة .
- مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبدالعظيم الزرقاني، طبع: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة .
- المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي أبي عبدالله الحسين بن الحسن، تحقيق: حلمي محمد فودة، نشر: دار الفكر .
- النبأ العظيم، محمد عبدالله دراز، عناية: عبدالحميد الدخاخني، نشر: دار طيبة بالرياض، الطبعة الأولى سنة ١٤١٧هـ .

- النبوة والعصر، لمحمد رشدي عبيد، نشر: دار المعرفة ببيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٣١هـ .
- النبي محمد، عبدالكريم الخطيب، نشر: دار المعرفة بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ .
- نزول القرآن الكريم، لمحمد بن عبدالرحمن الشايع، الطبعة الأولى سنة١٤١٨هـ .
- النكت والعيون للماوردي، تحقيق: السيد بن عبدالمقصود، نشر: مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى سنة ١٤١٢هـ .
- النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود الطناحي، نشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٣هـ .
- وحي الله، لحسن ضياء الدين عتر، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٨هـ .
- الوحي عند الصوفية، بحث منشور في مجلة ((بين النهرين))العدد ٢٩ ص ٢١٢ .
- الوحي المحمدي، لمحمد رشيد رضا، نشر: دار المنار بالقاهرة، الطبعة الخامسة سنة ١٣٦٧هـ .
- الوحي والقرآن، عبدالحميد إبراهيم سرحان، نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٣م .
- الوحي والقرآن الكريم، لمحمد حسين الذهبي، نشر: مكتبة وهبة، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦هـ .

- الوحي ودلالاته في القرآن والفكر الإسلامي، د. ستار جبر الأعرجي، نشر: دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٢١هـ.
- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، للواحدي، تحقيق: عادل عبدالموجود وآخرون، نشر: دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ.